
عبد الرؤوف مزربة
رواية
الدُّب
عندما تعصف بك الحياة
خيال
رواياتي
Rwaiaty.com


رواياتي
Rwaiaty.com


الدُّب



دار خيال للنشر والترجمة ©
تجزئة 53 قطعة. رقم 27. بليمور
برج بوعريريج – الجزائر–
0668779826
Khayaleditions@gmail.com
ردمك :978-9931-06-045-1
الإيداع القانوني : السداسي الأول 2020.

عبد الرؤوف مزربة

الدُّب

عندما تعصف بك الحياة

رواية


رواياتي
Rwaiaty.com

الإهداء

إلى كل قارئ


رواياتي
Rwaiaty.com

.25/05/2007

هناك في شوارع مدينة تنس الساحلية الجميلة تمشي بجواره ممسكة يده وتحدثه بصوتها الطفولي البريء:

- حسين.. ماذا ستشتري لي اليوم؟ لقد وعدتني أنك ستشتري لي الكثير من الأشياء يوم تتقاضى راتبك.

- نعم عزيزتي، اليوم ستحصلين على كل ما ترغبين به يا مدللتي الصغيرة.

قضيا أغلب اليوم في الخارج، ثم عادا إلى البيت مساء.

- أمي خمني ماذا اشترى لي حسين؟

- ماذا يا جميلتي؟

- لقد اقتنى لي أثاثا جديدا لغرفتي.

حقا؟ لكن لا يزال أثاث غرفتك جديدا، على كل حال بالهناء يا صغيرتي.

كانت "ندى" تحصل على كل ما تريد في كل مرة، فهي الابنة الوحيدة التي عشقها والداها بجنون، ووفرا لها كل ما تحتاجه وتريده رغم ظروفهم المعيشية المتواضعة، فلقد رزقا بها في وقت كانا بأمس الحاجة إلى من يدخل البسمة على قلبيهما، إلى من يجعل الحياة تدب في هذا المنزل من جديد، فقد عانى والدها من زواجه الأول الفاشل، فهو كان متزوجا من امرأة حولت حياته إلى جحيم، بعد أن انفصلت عنه وأخذت معها ولديهما أحمد وحياة، ولكن بعد كل الظلام الحالك، تزوج العم حسين من السيدة خولة، لينجبا زهرة ملأت حياته بهجة وأزاحت عنه ظلام الماضي الحزين، زهرة اسمها قطر الندى ...

من هي قطر الندى؟؟

سآخذكم معي ونعود بالزمن إلى الفاتح من أبريل سنة ألفين وسبعة، إلى مدينة تنس وإلى ذلك البيت المتواضع المختبئ بين الأزقة الضيقة، وبالتحديد إلى تلك الغرفة الصغيرة المفعمة بالألوان الزاهية والأثاث الجميل، خزانة بيضاء مزخرفة، ومنضدة مستديرة عليها بعض الكتب وسرير لا يمكن تحديد لون غطائه فقد امتلأ بالدمى من كل الأنواع والأحجام، وهناك تلفاز صغير محشور في الزاوية خلف الباب وكأنها تخفيه عن الأنظار لأنها تعتقد أنه من طراز قديم وقد أصبح يشوه المنظر الجميل في غرفتها، آه صحيح سوف تطالب حسين بتلفاز جديد المرة القادمة، فقد غفلت عن هذا، كما أنه في غرفتها طاولة بمرآة كبيرة ستلفت انتباهك حتما فهي من دون شك مخصصة للأميرات وعليها الكثير من المستحضرات والاكسسوارات وعلب لا أعرف ماهيتها، لكني متأكد أنها تحوي أشياء لها علاقة بالتجميل، وفي المقابل لها كرسي جميل أبيض تجلس عليه فتاتنا وهي تحدث المرآة: آه يا ندى لقد كبرت وازداد جمالك، رفقاً بقلوب الشباب، آه صحيح هل سيسمح حسين بأن يكون لي حبيب في هذا السن؟ قالت بنبرة خائبة: طبعا لن يسمح لكنني كبرت الآن، فاليوم سأحتفل بعيد ميلادي الخامس عشر..

لحظات وتسمع دقات على باب غرفتها، ندى !!ندى !!ماذا تفعلين يا ابنتي هيا تأخرت، سيصل ضيوفك بعد قليل..

نعم أمي، لقد انتهيت تقريباً، أنا قادمة.

بعد وقت وجيز أصبح البيت يعج بأصوات الزوار من زملاء ندى في الدراسة، وصديقاتها وبعض الأقارب، حتى

أختها غير الشقيقة "حياة" أتت رغم علاقتها السيئة مع والدها، حضر الجميع من أجل هذه المدللة التي ستأكل رأس كل من يتخلف عن حفلتها، اجتمع الجميع حول طاولة كبيرة وضعت في باحة البيت في انتظار خروج أميرتهم من غرفتها، وهم كذلك حتى طلّت عليهم تلك الفراشة الجميلة طلّت بتلك العينان السوداوتان كسواد الليل تسحر كل من وقع في مجالها، خدود متوردة وشفتان حمراوتان زادتهما البسمة بريقا، وجه بشوش يبث السعادة في النفوس، وشعر أسود طويل ممتد أسفل ظهرها، متوسطة القامة جعلت منها أطول قليلا بكعب عال عدّل من وقفتها، بيضاء البشرة وكأنها قطعة من القمر، هذا كل ما استطاع حبري أن يبوح به مما رآه، طلت عليهم فقام لجمالها كل الحضور لتبدأ حفلة هذه الملكة الصغيرة، وسط جو جميل يطرب القلوب.

انتهت الحفلة وغادر الضيوف، وعادت ندى إلى غرفتها فغيرت ملابسها ومسحت عن وجهها مساحيق التجميل نعم إنها مهووسة بوضع تلك المساحيق منذ الصغر، رغم أنها جميلة من الأساس، والجميع معترف بجمالها، لكنها تفعل على كل حال، بعدها توجهت إلى الغرفة المجاورة، حيث يوجد الحاسوب ودخلت مباشرة إلى حسابها الخاص على الفاسبوك لاستقبال رسائل التهنئة بمناسبة عيد ميلادها، وبينما هي تمرر نظرها بين الكم الهائل من الرسائل التي وصلتها وكلها فخر وفرح وسرور، حتى لمحت رسالة غريبة من شخص غريب :

- ملاك؟ لماذا تستخدمين هذا الاسم على صفحتك؟ وأنت لك اسم جميل، اسم أجمل بكثير.. ما شأني أنا الآن؟

أليس هذا ما يخطر على بالك؟ حسنا ..ربما سأطالب بتغييره عندما يكون لي شأن، على كل حال عيد ميلاد سعيد يا "قطر الندى "أو ندى... فأنا لا أحب الأسماء المركبة.

من هذا؟ قالت ندى في استغراب رافعة أحد حاجبيها إلى الأعلى، والكثير من التساؤلات في رأسها، فكرت كثيرا في هوية هذا المتطفل وهي ترتب أفكارها، حتى حسمت أمرها وأمسكت لوحة المفاتيح وبدأت في كتابة رسالتها...

*** * * * ***

...آسر ... آسر ..!! نعم نعم ماذا؟ من؟ أنا؟ ما الأمر!! تحدث آسر في دهشة بعدما كان يغط في نوم عميق وصحى على نداءات أستاذته وضحكات زملائه في القسم.

- لا أصدق أنك فعلتها مجدداً في حصتي! ألم نتفق من قبل على أن لا تنام في حصتي مجدداً، وإلا ستحرم من دخول حصصي طول السنة؟ إذن تفضل إلى الخارج وجد مكانا جيداً لتنام فيه أيها الكسول.

- حسنا أستاذتي أنا خارج فقط أنت لا تعكري مزاجك بسبب فاشل مثلي.

وهم بالخروج إلا أن الأستاذة رقّ قلبها كالعادة، وطلبت منه الجلوس والانتباه إلى الدرس، وهذا ما كان يحدث دائما، فهو يجيد الوصول إلى قلوب الآخرين، كما أنه التلميذ رقم واحد هنا، ويحصل على علامات جيدة، سواء انتبه في الدرس أو لم ينتبه فهذا مفروغ منه، رغم أنه في المنزل أكثر كسلا ولا يراجع أي دروس،كيف يفعلها إذن؟ الله أعلم، فلنعتبر أنه محظوظ أو له ذكاء غير عادي..

يعيش آسر حياة طبيعية بين عائلته المتواضعة، لديه أب صارم وأم حنون كجميع الأمهات وثلاث أخوات إسراء سارة ومريم، لا شيء آخر مميز، وكل شيء ممل بالنسبة له، لذا أراد أن يجرب تمضية بعض الوقت على الفاسبوك كما يفعل بقية أصدقائه، فقرر أن يفتح حسابا خاصا به في هذا الموقع، فبدأ أولى خطواته فيه في الخامس عشرة من شهر مارس سنة ألفين وسبعة، وبالفعل فتح حسابه الخاص، لكن لم يفقه فيه أي شيء لا يوجد صور، ولا منشورات مثل التي يراها في حسابات أصدقائه، ولا تصله أي رسائل، ولا يملك أي صديق يدردش معه وهو يفكر في طريقة التواصل في هذا العالم الغريب عنه دخل ابن خاله عمر لزيارته وقد كان هذا الأخير يملك حسابا خاصا في الموقع منذ زمن، فعلمه الأبجديات وتركه ليسبح وحده في ذلك العالم الشاسع الذي سحبه إلى رحلة تركت بصمة في حياته ..

أغلق آسر حسابه بعد أن انضم إلى بعض المجموعات والصفحات وأرسل طلبات الصداقة إلى بعض الأشخاص الذين يعرفهم والذين لا يعرفهم، انتهى من جولته في يومه الأول ثم انطلق مسرعاً إلى المطبخ ليرى أي طعام طبختته ماما زهرة على العشاء فهو لن يؤخره شيء عن مواعيد الأكل وغيرها من المواعيد.

أتى اليوم التالي واستقبله آسر بكسل كالعادة وأخذ يعد الدقائق لتنتهي ساعات حجزه الدراسي ويخرج للتسكع قليلاً مع صديقه "عبدو"، وهذا الأخير هو الوحيد الذي يفهم عقلية آسر جيدا عكس البقية من أبناء جيله، كانا يقضيان أغلب الوقت مع بعض ولا يفترقان حتى الليل، ليعود آسر

إلى المنزل كالعادة ويسمع بعض التوبيخ بسبب التأخر، ثم يدخل إلى غرفته ليتظاهر أنه يراجع دروسه ليتفادى انتقادات والده الذي لا يتوقف عن مطالبته بالمذاكرة وحصد نتائج جيدة أكثر جودة من الجيدة خاصته.

جلس آسر في مكتبه الصغير، فتح بعض الكتب كتمويه كما يفعل دائماً، ثم شغّل الحاسوب ليدخل إلى لعبته الحربية المفضلة، كان سيسجل الدخول إلى اللعبة لكن تذكر حسابه الجديد على الفاسبوك فقرر أن يلقي نظرة أولاً ففعل وبدأ يتصفح بعشوائية حتى اكتشف أنه أصبح صديقا جديدا لبعض الأشخاص، ومن بينهم شخص لا يعرفه، دخل على صفحته الشخصية ليلقي نظرة، ثم باشر بإرسال أول رسائله:

- السّلام عليكم...

****

سأخبركم عن يوم عيد ميلادي الخامس عشر، لقد كان أحد أجمل أيامي، لقد حضر الجميع لحفلتي، وأظهر الجميع كم أنا غالية بالنسبة لهم، ما عدا أخي أحمد فهو لم يأت طبعا سأعاقبه لاحقا، فهذه حفلتي وليست حفلة حسين الذي لا يتفاهم معه، المهم لن أغفل عن إخباركم كم كنت جميلة، وقد اعترف الجميع بذلك ما عدا حسين، أعلم أنه كان يمزح عندما قال لم يتغير فيك شيء، أنا أحب بابا حسين كثيراً، آه أنا أثرثر كثيراً أعلم هذا لذا سأختصر وأخبركم فقط عن الأهم، لقد وصلتني رسالة غريبة من شخص غريب، لو لم أكن ناضجة كفاية لتلقى إجابة تعصف بشخصيته قبل أن يتم حضره، فأنا لا أحب

المتطفلين والذين يتكلمون بطرق غير مباشرة، لكن لأكون صادقة لقد تمكن مني قبل أن أفعل وانتصر علي لأنه تحالف مع فضولي، فأنا أردت أن أعرف هذا الغريب، لقد جعلني أسهر لساعات إضافية بمجرد إرساله بضع الرسائل، وماذا حدث؟ أنا لم أعرف حتى اسمه في حين جعلني أطلعه على الكثير عن ندى من دون أن أنتبه، آه لقد تمكن مني حقاً، حسناً سأريه غدا من هي ندى ..

***

وعليكم السلام، من أنت؟

- أنا آسر قريشي من مدينة الحسينية، سبعة عشر سنة، طالب في الثانية ثانوي، طويل القامة، أسمر البشرة وأحب الأرز، وأنت؟

- أنا ياسمين.

- ماذا؟ ياسمين فقط؟ أنا كتبت مقالة عن حياتي الشخصية كلها، وفي المقابل أحصل على الخبز وحده؟

- ظريف! أنا ياسمين من مدينة تنس ومقبلة على شهادة التعليم المتوسط هذه السنة إن شاء الله.

- آه بالتوفيق، لكن لماذا تقولين أن اسمك ياسمين ويظهر عندي ميرا؟

- أين المشكلة أغلب البنات يفعلن هذا.

- أنتن غريبات حقا...

تحدث آسر مع صديقته الجديدة طويلاً وتكرر ذلك لعدة أيام حتى وصل يوم الفاتح من أبريل، فراسل ياسمين كعادته، لكنه لاحظ أنها تتأخر كثيرا في الرد فأزعجه ذلك .

- لما كل هذا التأخر في الرد؟

- آسفة أنا أجهز نفسي لأذهب إلى الحفلة.

- أي حفلة؟

- إنه عيد ميلاد صديقتي، وابنة خالتي وحبيبتي، ندى .

- همم ندى؟ اسم جميل.. هل هي جميلة كاسمها؟

نعم إنها الجمال بعينه، هيا سأتركك الآن يجب أن ألحق بالحفلة .

- مهلاً! خذيني معك أيتها الشريرة أريد أن أرى الجمال بعينه.

- لا لن تذهب معي ستفسد الحفلة أيها الطائش .

- أعلم أنك تخافين أن أختطف ابنة خالتك، لكن على الأقل أعطني عنوان حسابها سأكتفي بتهنئتها من هنا .

- حسنا أيها المزعج سأرسل إليك حسابها الآن، إلى اللقاء.

- هممم هذه أيضا تستخدم اسما مزور، حسنا لنرى ماذا سنكتب لك آنسة ندى ...

****

2007//04/02

هل أخبرتكم من قبل كم أكره يوم الأحد؟ آه أنا أكرهه فهو يعلن عن رحيل عطلة نهاية الأسبوع وبداية أسبوع جديد طويل وشاق، على كل حال انقضى نهار هذا اليوم الذي لا ينقضي وأتى المساء ومر هذا الأخير سريعاً جداً، بل وحل منتصف الليل من دون أن أشعر وقد تعرضت للتوبيخ من حسين لأنه وجدني مستيقظة حتى هذا الوقت، كل هذا بسببه، نعم إنه هو، آسر.. أوليس اسماً جميلا؟ أنا أعرف اسمه الآن، بل وأعرف أنه أكبر مني بسنتين وهو يبعد عني حوالي 18 كلم فقط، لقد كانت معرفتي لاسم آسر أهم شيء في هذا اليوم، أما بقية الأحداث، فكلها مملة ما عدا أنني تلقيت بعض قطع الشكولاطة من بعض الأصدقاء الذين لم يحضروا إلى حفلتي البارحة، هل ذكرت من قبل كم أحب الشكولاطة؟ على كل حال، لقد تناولت الكثير حتى خفت أن يزيد وزني، أمزح أمزح في الحقيقة أنا من النوع الذي لا يسمن مهما أكل.

ماذا عن آسر؟ حسنا إنه جاد جداً، لقد جعلني أضحك كثيرا اليوم، لم أضحك هكذا منذ زمن، إنه حقا مرح، آه أنا لا أستطيع أن أحدد شخصيته إن كانت جادة أو مرحة، لنفترض أنه مزيج من الاثنين ولقد بقيت أغوص في عالم هذا الغريب يومياً، ومضت الأيام والشهور..

مضت سبعة أشهر وواحد وعشرون يوما بالفعل، منذ أول يوم تعرفنا على بعضنا، إذا كنا لن نحتسب أول يوم سيكون سبعة أشهر وعشرون يوما بالتحديد.

ضحكت ندى في نفسها وكتبت له:

- يبدوا أنك مهتم بالحسابات؟ لو تزوجنا حينها لكنت حاملا في الشهر السابع أليس كذلك؟

- اخجلي يا عديمة الحياء، ولا تحلمي حتى، ما كنت لأتزوج طائشة مثلك.

- أعلم أعلم، حسنا أخبرني ما سبب اهتمامك المفاجئ بحساب مدة تعارفنا؟

- ماذا أفعل إن كنت أنت مهملة جدا، فعلى أحدنا أن يتصرف بنضج، لقد كانت أولى خطوات تعارفنا في يوم عيد ميلادك، وغدا هو عيد ميلادي أنا.

- آه حقا! هذا رائع ستصبح بالغاً، إذاً ثمانية عشر سنة، لقد كبرت.

- نعم أنا كبير منذ زمن، أخبريني إذن ماذا ستقدمين لي كهدية؟

مم أنت لم تقدم لي أي هدية في عيد ميلادي، لكنك قدمت لي الكثير بعدها فأنت قدمت لي أفضل صديق، لذا اطلب أنت أي شيء وسيكون لك.

- حقا؟ حسنا أنا أريد أن أراك،كل هذه المدة وأنا أتحدث معك لكن أنا حتى لا أعرف كيف تبدو ندى، أنا حقا أريد رؤيتك... ألو... ما بها هذه لا ترد، حسنا إذن لا تردي كما تشائين...

***

22/12/2012

الساعة14:35:

هناك في آخر مقعد قرب النافذة يجلس آسر ويبدو من ملامحه أنه لم ينم الليل بطوله، يجلس شارداً ويده على خده غير مبال بما يثرثر به أستاذ الجغرافيا، إنه لا يعترف بهذه المادة على كل حال، فهو دائما يقول أنه سيسأل غوغل عن أي مكان يريد، وسيجيبه بسرعة ومن دون عناء .

شيء ما يهتز في جيبه، إنه الهاتف الذي اقتناه منذ أيام قليلة ولم يعتد عليه بعد، أخرج آسر هاتفه ليرى من المتصل، إنه رقم يعرفه جيداً، فضغط الزر الأخضر وقرب السماعة من أذنه ...

- دائرة الحسينية ترحب بكم، هل حقا أنت تسكن في هذا المكان البشع؟

- ماذا؟ ما قصدك؟ ندى !

- نعم أيها الأحمق لقد جعلتني أستقل حافلة مهترئة وآتي إلى منطقة مهترئة من أجل الاستجابة لطلبك.

- آه لا أصدق هل أنت حقا هنا، كان عليك إعلامي أيتها الحمقاء!

- هيا تعال أنا لا أملك الكثير من الوقت يجب أن أعود بعد ساعة، سأغلق الخط أنتظرك...

- لقد... حقا حمقاء .

أستاذ أحتاج الخروج بسرعة، أرجوك لا تعارض إنها مسألة تاريخية، وانطلق آسر بأقصى سرعة نحو موقف الحافلات القريب من ثانويته، إلى أول لقاء، أخيرا بعد كل هذا الزمن..

- ألو.. أين أنت لقد تأخرت كثيرا؟

- ليس ذنبي أيتها الغبية كان عليك أن تخبريني باكراً حسناً تستطيعين رؤية مقر الدائر من موقف الحافلات توجهي في طريقه وستجدينني هناك..

قلبي يخفق بشدة، أخيراً سأرى هذه المجنونة، هل هي جميلة مثلما أراها في أحلامي؟.

وقف آسر في الجهة المقابلة لمقر الدائرة، حيث المكتبة العامة، لحظات فقط وإذا به يبصر وجهاً جديداً، ما هذا؟ قال آسر في دهشة وهو ينظر إلى المقبلة من بعيد، هل هذه ندى حقا؟ لا يمكن، يجب أن أتأكد.

وقبل أن يخرج هاتفه لمحها تسحب هاتفها وتتصل، وإذا برقمها يظهر على شاشة هاتفه ليعلن له أن الفاتنة المتوجهة نحوه هي نفسها الفاتنة التي طالما رآها في أحلامه طوال هذه الشهور.

وصلت ندى إلى آسر، ولوهلة توقف الزمن واختفت كل الخلائق، لم يبق في المكان سوى هذا الثنائي، تبادلا النظرات طويلا ثم كسرت ندى موجة الصمت، فهي كانت أشجع منه على ما يبدو .

- أنت آسر صحيح؟

(ابتسمت ابتسامة، كاد قلبه أن يتوقف)

_ أنت أطول من ما كنت أتخيل..

همم هل سرق أحدهم لسانك؟ هيا نجلس في مكان ما فيجب أن أرحل بعد قليل.

"لا ترحلي" _ تلك أول كلمة نطق بها آسر_، لا ترحلي..

بعد لحظات طويلة بدت أقصر بكثير، تحرك آسر ودخل إلى المكتبة وندى تتبعه، وصل إلى الطاولة وسحب لها كرسيا لتجلس على الطريقة الكلاسيكية، ثم جلس هو على

كرسي كان على يسارها، لكنه أداره قليلا لليمين لكي لا يهمل أي تفصيل فيها.

- ضحكت ندى ضحكة خجولة وقالت له: عدل جلستك يا هذا أنت تحرجني أمام الناس.

- عن أي ناس تتحدثين؟، لا يوجد غيري أنا وأنت في هذا العالم، وأيضا ماذا تقصدين بيا هذا؟ يمكنك استخدام كلمات تخصني مثل عزيزي، حبيبي..

- لا تحلم كثيرا أيها الوقح نحن مجرد أصدقاء.

- حسنا الأن أصبح لي هدف، وهو محو كلمة صديق من جميع القواميس ولن أترك سوى الكلمات التي أريد.

- لقد بدوت خجولا جدا قبل لحظات وإذا بك الآن تتحول إلى زير نساء، بل ويبدو أن لك خبرة أيضاً .

- ضحك آسر ضحكة ساخرة وقال: ليس الأمر وكأنك امرأة أيتها الطفلة المدللة، حسنا علي أن أعترف أنني فقدت عقلي عندما رأيت جمالك.

طأطأت ندى رأسها في خجل وقالت: تبا إنك أوقح مما تصورت.

****

سأخبركم عن أول لقاء لي مع آسر..

من أين أبدأ؟ حسنا لم أنم جيداً الليلة التي سبقت عيد ميلاد آسر، فقد قضيت أغلب الوقت في التفكير به، كان أول تعارفنا في يوم عيد ميلادي ، لذا يجب أن لا أهمل عيد ميلاده.

طلب أن يراني فقط، أين المشكلة؟ إنه ليس بعيدا جدا وأنا لا أدرس في المساء، إنها فرصة رائعة لمفاجأته، أعلم أنه سيكون سعيدا جدا، أنا متأكدة من هذا.. المهم لقد أخبرت أمي أنني سأذهب عند ياسمين، لكن في الحقيقة توجهت إلى محطة الحافلات، وركبت أول حافلة متوجهة إلى الحسينية، عندما شارفت على الوصول، اتصلت بآسر وأخبرته أنني على مشارف مدينته، يبدو أنه لم يصدق واعتقد أنني أمزح معه كالعادة.

بعدما وصلت وتوجهت حيث طلب مني، أبصرته؛ شاب أسمر عريض الكتفين، طويل القامة، يقف بشموخ، شعرت برعشة تسري في جسدي، لم أكن متأكدة أنه آسر لكنني تمنيت في أعماقي أن يكون هو، في الطريق إليه شعرت أن كل من حولي ينظر إلي، بل وشعرت أن جميع البشر تركوا أعمالهم وجاؤوا لمشاهدتي، وأنا أسير نحو آسر، عندما اقتربت منه ورأيت نظراته عن قرب تأكدت أنه هو ولكن أخرجت هاتفي واتصلت لأتأكد وأؤكد له أنها أنا ...

ألقيت عليه السلام، لكنه كان يقف مدهوشا كالأبله، كأنه لا يصدق حتى الآن، لقد بدا خجولا أيضا عكس ما توقعت، فهو يبدو مشاكساً جداً خلف شاشة الحاسوب.

بعد لحظات من النظرات البلهاء التي طالت كثيرا، بدا أن آسر عاد إلى عالمنا، دخلنا إلى مكتبة مجاورة، لم تكن

فخمة ولكنها واسعة جدا، اخترنا إحدى الطاولات وجلسنا نتحدث أو بالأحرى نتعرف على بعضنا أكثر، مع مرور الوقت تخلص آسر من خجله، وبدأ يتحدث براحة، بل وتحول إلى شاعر كبير عندما بدأ يصفني، تظاهرت بعدم الاكتراث، لكن في الحقيقة كاد قلبي يقفز من صدري، كان حديثه رائعا حقا، تحدثنا في الكثير من المواضيع، وتناقشنا حول بعض الكتب، آه نعم لم أذكر هذا من قبل، إن آسر مهووس بمطالعة الكتب، وهذا ما جعله شابا مثقفا في شتى المجالات، لكنه يكره "نزار قباني" أعتقد أنه يشعر بالغيرة منه لأن جميع النساء تعشقنه، وهو يقول أنه مجرد شاعر يقول كلاما كاذبا عنهن، وهن يصدقنه ويذبن بين كلماته، أخذ كتابا للشاعر نزار قباني من إحدى الرفوف وبدأ يقرأ لي بعض الأشعار، شعرت أنني فقدت عقلي للحظات لكنني تماسكت.

رغم أنني قضيت ساعتين فقط مع آسر، إلا أنهما كانتا كافيتين لجعل يومي رائعا جدا لن أنساه أبدا، طلبت منه أن يأخذني في جولة ليعرفني على مدينته، فخرجنا من المكتبة وتمشينا جنبا لجنب في شوارع الحسينية، لم تكن جميلة جدا فهي صغيرة ومتواضعة مقارنة مع مدينتي هناك محلات من كل الأنواع ومقاهي في كل مكان، يبدو أن سكان هذه المنطقة يعشقون القهوة أو المقاهي بصفة عامة، كنت سعيدة جدا وأنا أسير رفقة آسر، ابتسمت عندما قارنت طوله مع طولي، من حسن الحظ أني لبست حذاء بكعب عالي وإلا بدوت كإحدى الأقزام، حسنا أنا لست قصيرة إلى تلك الدرجة بل هو الطويل، وصلنا إلى نهاية الشارع وأخبرني أن البيت القابع في الزاوية هناك هو بيته

وطلب مني مرافقته لإلقاء التحية على أمه وأخته التي طالما سمعت صوتها على الهاتف، نعم فقد كانت ترد علي عندما ينسى هذا المهمل هاتفه في البيت، وقد تعرفت عليها وصرنا ندردش مع بعضنا من وقت لآخر، رفضت طلبه واعتذرت وتحججت بضيق الوقت، وقلت أننا سنفعل ذلك في المرة القادمة، لكن في الحقيقة لا يمكنني تخيل ذلك أبدا سيغمى علي من الخجل، هل أمه طويلة أيضا؟ من يهتم؟ حسنا في طريق العودة أراني آسر ثانويته وقد كان الطلاب بالفعل يخرجون منها، بدأ آسر يسرع من خطواته وكأنه يتحاشى الالتقاء بإحداهن فتراه وهو معي، (هذا ما بدا لي) لذا قررت أن أنتقم منه لأنه لم يخبرني أن له صديقة، فوضعت يدي على يده وتشبثت به جيدا حتى لا يستطيع الإفلات مني لأعلن أنه يخصني، أنا بارعة في الأعمال الشيطانية ولا منافسة لي في ذلك، تجاوزنا موكب الطلاب المتدفق بسرعة قبل أن يصلوا إلينا لكني لمحت بعض الفتيات خلفنا ينظرن إلينا ويضحكن فسألته عنهن فقال إنهن مراسلات قناة الجزيرة هنا في مدينتنا، وقد كان يسرع حتى لا يقبض عليه، لقد شعرت حينها بنزعة الشر داخلي كما أني شعرت ببعض الراحة فسوف تعلم جميع الفتيات هنا أن آسر محجوز، بعدها وصلنا إلى المحطة وبعد تبادل نظرات عميقة وكأنه يقول، لا ترحلي وأنا أقول ليتني أستطيع البقاء، مددت يدي إلى حقيبتي وأخرجت علبة صغيرة وضعت فيها ساعة جميلة وقصاصة ورق، كتبت عليها كم أتمنى توقف الوقت وأنا معك، ودعته وركبت حافلتي لأعلن عن نهاية الزيارة والتي رغم بساطتها إلا أنها كانت رائعة حقا، فأنا رأيت الشاب الذي أقضي أغلب وقتي

في الحديث معه من دون ملل، نعم إنه الشخص الذي أشاركه أفراحي وأحزاني، فأنا أحكي له كل شيء من دون تردد، ففي وقت وجيز كسب ثقتي وعلمت كم هو مختلف عن بقية الشباب، إنه مثقف وذكي وصارم، يقدم لي النصائح دائما ويشجعني ويواسيني عندما أحزن، مهما تحدثت عنه فلن أوفيه حقه، إنه أفضل صديق على الإطلاق ومن دون منازع، نعم إنه صديقي فقط وليس... حسنا أنا لدي حبيب بالفعل، واسمه أمين، أنا أريد أن يبقى هذا سرا فلا أحد يعلم عن أمين غير آسر وياسمين، سيقتلني بابا حسين إذا علم بهذا.

بالمناسبة عندي موعد مع أمين يوم السبت، وهو أول موعد لي، أنا متحمسة جدا، أخيرا أستطيع أن أعيش تجربة أحد المسلسلات التركية.

أتي يوم السبت، وكان على ندى أن تلفق كذبة جديدة على والديها من أجل الخروج من المنزل، لكن هذه المرة لم تفلح، لأن أمها أصرت على الذهاب في نزهة عائلية كعادتهم كل عطلة نهاية الأسبوع، وطبعا خرجت ندى مع والديها للتسوق والتجول قليلا، وما إن وجدت فرصة أرسلت إلى أمين رسالة تعتذر فيها عن عجزها عن لقائه اليوم، لم يكن لها فرصة أخرى لتفقد هاتفها لكي لا ينتبه لها والداها، لذا أطفأته في انتظار عودتها إلى البيت، واختبائها في غرفتها للاتصال بأمين، وسماع وابل من الشتائم والتهديدات، وبالفعل ذلك ما كان، شعرت ندى بالاختناق كما شعرت بالخوف أيضا من حبيبها المزعوم، فهي قد اختارته لأنه يبدو مثل أبطال المسلسلات التركية، رئيس عصابة قوي ومتسلط ولا يخشى أحدا، هذه الصفات التي عشقتها، لذا

أرادته حبيبا لها من دون الاهتمام بالعواقب، كبير السن وسكير ودائما ما يشاجر الآخرين ويتنمر عليهم، لا يهم فهذا ما يفعله الرجال، هذه وجهة نظر ندى، أخبرها أمين أنه لن يترك ما فعلته به اليوم، وأنها جعلته مسخرة أمام أصدقائه، وندى تعرف جيدا ما يعنيه ذلك، حاولت أن تكون طبيعية وتتصرف بهدوء ولكنها لا تستطيع، حاولت أن تأكل قليلا لكن لم يتقبل جوفها أي طعام، أرادت أن تنام لكن أبى النعاس أن يزورها فلم يبق لها سوى أن تشارك شعورها مع أحدهم تعلم جيدا أنه سيحسن من حالها، فحملت هاتفها واتصلت، بعد ثلاث محاولات رد أخيرا بعد أن كادت تنقطع أنفاسها وقال بصوته النعس:

- ألو.. ندى! خيرا إن شاء الله، ما الطارئ الذي جعلك تتصلين في هذا الوقت المتأخر؟

عم الهدوء للحظات ثم نطقت أخيراً بصوتها المبحوح المنذر بقدوم عاصفة من البكاء:

-آسر!

- نعم ندى أنا هنا، ماذا حدث، أنا انتظرت رسائلك طول اليوم لكن أنت لم تأت، ما الأمر تحدثي أقلقتني عليك، مهلا لقد كان لك موعد اليوم صحيح؟

قالت بنبرة مترددة:

- أنا خائفة آسر ، سوف يقتلني، أنا أعرفه جيدا .

- ما الذي حدث؟ ومن هذا الذي سيقتلك؟

فأخبرته عن التفاصيل، وختمت بآخر رسالة وصلتها من أمين، والتي يتوعد فيها بأن تنال جزاءها يوم غد، ضحك آسر وقال ساخرا:

- كفاك تفاهة أيتها الطفلة الباكية واخلدي إلى النوم، لن يحدث لك شيء إنه مجرد أحمق يثرثر فقط، ثم من يكون هذا حتى يرفع يده عليك؟ هيا نامي، يجب أن أنام أنا أيضا عندي امتحان في الصباح.

- آسر أنت لا تحبني، لا تهتم بأمري، لن أتصل بك مجددا .

فأجابها ببرود وكأنه يتعمد إثارة غيضها:

- حسنا حظاً طيبا البسي جيدا حتى تتحملي بعض الضرب من حبيبك وأقفل الخط وترك ندى في ثورة من الغضب تشتم وتسخط حتى نامت من دون أن تشعر.

في اليوم التالي بدأ آسر يومه كالعادة، الاستيقاظ متأخرا بعد سماع نداء أمه للمرة الألف والانطلاق إلى ثانويته من دون تناول شيء على الفطور، ولا حتى ترتيب هندامه، فقط يلبس ملابسه ويحمل حقيبته وينطلق مسرعا، ودائما ما يجد أن بابها قد أغلق بالفعل تحت دهشة البواب الذي يستغرب دائما من تأخر هذا الكسول رغم أنه يسكن على بعد خطوات فقط، لكن آسر اعتاد على الوضع، حتى أنه اكتشف مكانا آخر يمكنه أن يدخل منه بعيدا عن أعين البقية وذلك بتسلق جدار قريب ليجد نفسه في الداخل وقريبا من قسمه أيضا.

أنهى يومه الدراسي بعدما خاض الامتحان الذي أجاب على كل أسئلته بسهولة، وذهب ليتسكع كالعادة مع أصدقائه إلا أن الجميع اعتذر، إنه وقت الامتحانات ويجب أن يبذلوا جهدهم في المذاكرة، حتى صديقه عبدو اعتذر أيضا، يبدو أن الجميع مهتم بالامتحانات ما عدا هو، فكالعادة لا فرق عنده بين أيام الامتحانات والأيام الأخرى،

وبعدما وجد نفسه وحيدا قرر زيارة مقهى الإنترنت ليتفقد حسابه على الفايسبوك أو بالأحرى ليتفقد حالة المدللة ندى.

لم يجد ضالته فندى لم تنشط على الفايسبوك منذ يوم بالفعل، تبا ماذا جرى لها؟ هل حقا حالتها بكل هذا السوء؟ سوف أنتظر قليلا ربما تتصل بي، فهي دائما ما تفعل عندما يحدث معها شيء ما، لكن مهلا ..هل كانت جادة البارحة؟ تبا لقد سخرت منها بالفعل لا أعتقد أنها ستتصل بي مجددا، يا لها من طفلة غبية هل حقا ستسمح لهذا المتشرد برفع يده عليها؟ يجب أن لا أفكر كثيرا يجب أن أذهب إلى المنزل وآكل قليلا وبعدها أرى ماذا سأفعل...

عاد آسر إلى البيت وكان كل بضع دقائق يتفقد الحاسوب ويرى إن كان قد استقبل رسالة جديدة من أحدهم، لكن لا جديد، والمدعوة ملاك (ندى) لم تنشط حتى الآن، تأخر الوقت إنه منتصف الليل ولكن لا جديد لذا قرر آسر المبادرة فجلب هاتف أمه الموجود دائما في المطبخ والذي يعلم جيدا أنه يحتوي على رصيد، فالماما زهرة لا تستخدم الرصيد إلا في حالة الطوارئ، دخل إلى غرفته وكتب رقم ندى الذي يحفظه جيدا، اتصل، حاول عدة مرات لكن لا رد، حينها شعر بالقلق حقا لأول مرة ، فلم يكن له سوى إرسال رسالة يائسة :

(سلام ندى أنا آسر، لقد أقلقتني حقا أرجوك اتصلي بي، أو افتحي الفايسبوك أو افعلي أي شيء)، انتظر آسر دقائقا اعتبرها الأطول على الإطلاق، في انتظار خبر من مدللته التي علم أنه قد قسا عليها كثيرا، فهي صغيرة على كل حال، وبصفته الأكبر سنا والأكثر نضوجا يجب عليه أن

يوجهها وينصحها، بدل الاستهزاء بها والضحك عليها، لذا أخذ الهاتف مجددا ليرسل رسالة أخرى، لكنه اكتفى هذه المرة بكلمة واحدة، يقسم أنها الأشق عليه في قاموسه ولكنه أرسلها على كل حال "آسف"

لحظات بعدها ليبدأ هاتفه بالاهتزاز كما فعل قلبه أيضا، نعم إنها ندى، تتصل أخيراً، أمسك هاتفه وأخذ نفسا عميقا واستجمع قوته ليسمع التوبيخ الذي لابد من سماعه بعد جريمته الليلة السابقة، لكنه فوجئ بسماع غير ذلك!

أين كنت آسر، لما تأخرت علي هكذا ؟ قالت ندى وصوتها مخنوق ممزوج بالدموع.

ماذا ما زلت تبكين منذ البارحة؟ كم تملكين من الدموع أيتها البرميلة الصغيرة؟ قال آسر هذا في محاولة منه لتخفيف بعض الضغط عن الجو المتوتر وقد نجح بالفعل فقد سمع ضحكة خفيفة.

- الحمد لله إذن تستطيعين فعل شيء آخر غير البكاء، يا إلهي أنت موهوبة، ضحكت هذه المرة بصوت مسموع وقالت اصمت أيها الأحمق حسابك معي اليوم، لقد تركتني عندما احتجتك على أساس أنك تقاسمني كل شيء، فقال آسر ضاحكا:

- آسف لا أستطيع أن أتقاسم معك الضرب، لذا خذيه كله لك وحدك حلالا طيبا.

حسنا يكفي مزاحاً احكي لي الآن ماذا حدث معك؟

- لقد كان يوما سيئا حقا، لقد تلقيت الكثير من الضرب، وانتهت علاقتي مع أمين.

- فتاة سخيفة ما كان يجب أن تتركيه يرفع يده عليك، من يكون هذا ليفعل، حسنا المهم أنك قطعت العلاقة معه.

- لا يا آسر هو من قطع علاقته بي، وقال لي أني لا أستحقه ولست في مقامه، لقد آذاني كثيرا وجرح مشاعري وكرامتي.

- حسنا ندى يكفي لا أريد سماع بكائك مجددا، لننظر إلى الجانب المشرق أنت تخلصت من هذا الحثالة، ولن تتعرضي إلى أي أذى مجددا.

- لكن أنا أحبه يا أسر أحبه ..

- ليكن في علمك إذا لم تكفي عن هذه الدراما السخيفة، سأكون أنا من سيبرحك ضربا هذه المرة.

- حقا؟ ولكن لا يمكنك فعل ذلك فأنت تحبني.

- أرأيتي أيتها الغبية، اكتشفت ذلك بنفسك، فمن يحبك لن يرفع يده عليك أبدا... لكن مهلا لا يعني الأمر أني حبيبك أو شيء من هذا القبيل، فأنا لست إطارا بديلا، تستخدمينه متى ما انفجرت إحدى الإطارات.

- اخرص أيها الثرثار وهيا ننام، اعتن بنفسك سنتحدث غدا، وشكرا لك على كل شيء.

****

2008/03/08

هل يمكن أن أقول أنه يوم جميل؟ لا تبا لهذا اليوم، لقد اضطررت للبقاء في البيت طوال اليوم، فحسين أخذ أمي وذهبا في جولة ليدللها بمناسبة عيد المرأة أولست امرأة أيضا! آه يا حسين لقد جرحت مشاعري، لكن لست الوحيد فهناك من تجاهلني اليوم أيضا وأنا لن أغفر له، كل هذا الوقت كنت أعتقد أنه يهتم لأمري ولكنني كنت مخطئة، إنه حتى لم يرسل إلي رسالة كما فعل بعض الزملاء، لم يتعب نفسه باتصال حتى، ويقول إنه يحبني ويهتم لأمري، لطالما قال لي أنني مجرد طفلة غبية، لقد كان يعني ذلك حقا، أعلم أنه سيجد عذرا كالعادة أو على الأقل كذبة ما، ولكن لن أعطيه فرصة بل سأجعله يندم سأغلق هاتفي وسأحذفه من قائمة الأصدقاء، وسنرى ماذا سيفعل، يجب أن يتعلم كيف يعامل سيدة غبية كما يقول...

****

أين اختفت هذه المجنونة، ولما لا تظهر على قائمة الأصدقاء؟ هاتفها مغلق ولا أثر لها، هذا غريب حقا، لقد مضى أسبوع على اختفائها المفاجئ، أخشى أنه أصابها مكروه ما، آه صحيح تذكرت، لما لا أسأل ياسمين؟

- السلام عليكم آسف جدا ياسمين أنا لم أتحدث معك منذ زمن، ولكنني أحتاج إليك.

- أهلا آسر لا عليك لا أريد توبيخك أنا أيضا.

- أنت تعرفين ماذا أريد؟ أخبريني عن ندى، هل هي بخير؟

- ليست بخير التقيتها قبل أيام وكانت تبكي بشدة بسببك، هي لن تسامحك وأنا أيضا.

- مهلا مهلا ما الأمر؟

- لا تتظاهر بالبراءة، لقد كانت ندى في حالة سيئة بسببك، الحقيقة لا أعلم الموضوع تحديدا لكنها قالت أنك لا تهتم بها إطلاقا وأنك تعتبرها مجرد وسيلة لتمضية الوقت، حتى أنك لم تتصل بها في عيد المرأة.

-ماذا؟ أكل هذا من أجل عيد المرأة؟ آه يا إلهي كم أنتن سخيفات يا معشر النساء.

- يبدو أنك تريد بدأ حرب معي أنا أيضا؟

- لا عزيزتي والله لقد اكتفيت، حسنا الآن ماذا يمكنني فعله؟ أنقذيني أرجوك.

- أنت تعرف المثل القائل (عقدتها بيدك، افتحها بأسنانك) إذن بالتوفيق سيد آسر.

إنه جنس معقد حقا، هل هذا سبب حقا لتهجرني بسببه وأيضا يبدو أنها كانت هذه الثانية تتوق إلى ضربي بشدة حسنا من يهتم؟ ولم أشغل بالي بهذين المراهقتين الساذجتين؟ سأجد طريقة حتما لاسترجاع تلك المدللة، كل ما علي فعله هو تشغيل جزء من عقلي لأجد طريقة ما.

آه صحيح عيد ميلاد ندى قريب بل لم يبق سوى أسبوعين أنا متأكد من أنها ستعيد الاتصال بي أو على الأقل ستشغل هاتفها وأنا سأنتهز الفرصة.

مضت الأيام ولم تظهر ندى ولا أي خبر عنها، كانت أياما طويلة بالنسبة لآسر وشعر فيها بالاختناق والحزن والغضب، لكنه يعرف مدللته ويعرف طباعها، حتى إنه يعرف نقاط ضعفها، انتظر الفاتح من أبريل بفارغ الصبر وقد أتى بالفعل، لكن لا وجود لضالته، ولم تشغل حتى هاتفها، كان هذا أسوء سيناريو يمكن أن يصادفه، ولم يبق

له سوى حل أخير، قرر آسر القيام بحركته الأخيرة والجريئة، نعم اتصل بياسمين وهي آخر شخص أراد الاتصال به لكن للضرورة أحكام.

- ياسمين لا أريد توبيخاتك أرجوك أحتاجك في أمر مهم.

- آسفة أنا مشغولة مع حفلة ندى.

- أرجوك ياسمين لا تكوني بغيضة هيا ساعديني هذه المرة وسآتي لك بأفخم قطعة شكولاطة على الإطلاق.

- حسنا أنت تجيد الكلام الأن تفضل أنا أسمعك.

- حسنا سأختصر، غدا يوم الأحد، وندى تدرس حتى الثالثة مساء، اطلبي منها أن تمر عليك في ثانويتك قبل ذهابها إلى البيت، وطبعا لا تخبريها بأنني من طلب هذا.

- بسيطة سأفعل أحضر معك الشكولاطة فقط.

في اليوم التالي بدأ آسر يومه بشكل عادي، الاستيقاظ متأخرا الذهاب إلى الثانوية مهرولا، الدخول من فوق الجدار النوم في القسم، توبيخ الأساتذة، وبعد نهاية الحصص الصباحية ذهب إلى البيت تناول غداءه ولبس أجمل ملابسه ورتب شعره على غير العادة وخرج من المنزل إلى موقف الحافلات مباشرة إلى مدينة تنس.

وصل آسر وقد كان زار المدينة مرات عدة من قبل إلا أنها هذه المرة تبدو جديدة عليه فهو هنا اليوم لسبب مميز ألقى نظرة سريعة على ساعته التي كانت تشير إلى الثانية والربع مساء، وعلم أنه لا يملك الكثير من الوقت لإضاعته، فتوجه مباشرة إلى المكتبة الكبيرة التي يعرفها جيدا، فلطالما اقتنى منها الكتب لنفسه، لكن هذه المرة يريد كتابا يهديه إلى أحدهم، دخل آسر إلى المكتبة ولم يشأ أن يتيه بين الرفوف خوفا من أن تسحره بعض الكتب فتسرق

أوراقها بعضا من وقته، لذا توجه مباشرة إلى البائع وطلب منه كتاب(كل عام وأنت حبيبي) لنزار قباني، نعم إنه نفس الكتاب الذي قرأ منه لندى في أول لقاء لهما، بعدها انطلق إلى وجهته الرئيسية ثانوية "الدايكرا"، وحرص على أن يصل في حدود الثالثة ليلتقي بياسمين وينتظر معها وصول ندى، وما هي إلا لحظات حتى أبصر مدللته الجميلة قادمة من بعيد فانتعش قلبه، فهو لم يرها أو يسمع صوتها منذ زمن طويل، كانت ندى مطأطئة رأسها وشاردة في التفكير، لقد كانت تفكر فيما علمته البارحة من عبدو عن آسر، لقد كانت قد تعرفت على عبدو من قبل عن طريق آسر، فقد عرفهما على بعض كونهما أعز صديقين بالنسبة له، كانت تتحدث مع عبدو في فترات تشاجرها مع آسر وتسمع منه حكايات عن آسر تستأنس بها في غيابه، لكن هذه المرة حكى لها عن حقيقة أخفاها آسر عن الجميع ولا يريد تذكرها، لقد كان آسر في صغره بدينا جدا ولطالما سخر منه زملاؤه وجرحوه بكلامهم المسيء، كره نفسه وكره جميع من حوله، لم يكن له أصدقاء يشاركهم اللعب، وقد كان يحب لعب كرة القدم ولكن من سيسمح بانضمام هذا البدين إلى فريقه،كان عبدو هو الشخص الوحيد الذي لا يحسسه بأنه مختلف عنه فقد كان يشاركه اللعب طوال الوقت ويؤنسه في وحدته، اشتد أذى من حوله له، سواء بكلامهم أو حتى بأيديهم فقد كانوا يتطاولون ويتنمرون عليه دائما، لم يعد يحتمل، اشتد غيضه وسخطه وغضبه اشتعل داخله وأوقدت روحه، وحسم أمره، في سن الثالثة عشر بدأ آسر مشروع التخلص من البدانة وقد نجح بعد سنة واحدة فقط، ففي سن الرابعة عشر حصل على جسد

رياضي بإمتياز يميزه عن بقية أبناء جيله، لم يتوقف هنا فحسب بل انظم إلى نادي الملاكمة ليبدأ أول خطواته فيها سنة ألفين وخمسة، أبدى عزيمة غير عادية وسرعة في التعلم وتطور في الأداء حتى تفوق على جميع زملائه، كان يستخدم غضبه المكبوت في داخله طول سنوات طفولته ويحوله إلى قوة يستخدمها في إسقاط خصومه، اجتهد وطور نفسه أكثر وأكثر وبدأ في حصد الألقاب إلى أن أتى ذلك اليوم، كان يوم الخامس من شهر يناير سنة ألفين وسبعة كان سيواجه أحد الخصوم من ولاية مجاورة، صعدا إلى الحلبة، وقد كان من العادي أن يقوم الملاكم باستفزاز خصمه لينقص من تركيزه، ولكن هذا الخصم قد تمادى كثيرا في استفزاز آسر ووصل حتى ذكر والدته بكلام سيء وهنا وقعت الكارثة، فقبل أن يدق جرس بداية المواجهة انقض آسر على خصمه وبدأ في تكسير عظامه، حاول الحكم منعه ولكنه تلقى لكمة يمينية مفاجأة من آسر أفقدته وعيه مباشرة، ليواصل آسر دق وجه خصمه وصدره وكافة أنحاء جسده بوابل من اللكلمات العشوائية، تدخل بعض المشرفين وأعضاء من الفريقين (فريق آسر وفريق الخصم)، لكنه كان في حالة غضب لم يسبق أن وصل إليها وأخذ يهاجم كل من يقترب منه أو حتى من فريسته التي بين يديه.

لحظات من الرعب عمّت القاعة حتى تمكنوا منه أخيرا وقاموا بتثبيته، كانت هذه الحادثة هي نهاية مسيرته في الملاكمة وقد كشفت عن وجه آخر لآسر، وجه لا يريد أحد أن يراه.

كانت ندى تفكر في كل هذا، آه يا آسر، رفعت رأسها بعد أن شارفت على الوصول إلى مدخل الثانوية، فلمحته واقفا هناك بطول قامته وعرض كتفيه، ببشرته السمراء وشعره الأسود، إنه هو.. أنا أحلم.. زادت من سرعة خطواتها لتقترب منه، وارتمت في أحضانه وهي وتقول له، اشتقت إليك آسر.

لم يستوعب آسر تصرفها حينها، فهو كان ينتظر منها التوبيخ ولم يتوقع هذا أبدا، فتحركت مشاعره واحتضنها بقوة وقال لها وأنا أيضا يا صغيرتي، جلسا سويا تحدثا قليلا وقدم لها هديتها التي فرحت بها كثيرا، وانتهى لقاؤهما ليعود كل منهما إلى بيته.

يبدو أن هذا الثنائي سيعيش قصة جميلة فهما يحبان بعضهما كثيرا، ولا يمكن أن يفترقا بسهولة رغم تكرر الشجارات والمناوشات بينهما لأسباب بسيطة، إن لم نقل تافهة فهي مدللة أكثر من اللازم، وهو قليل الصبر ومتسرع، لذا كان ما يميز علاقتهما هو وجود بعض الفترات ينقطعان فيها عن بعضهما لعدة أيام وأسابيع، لكن في كل مرة يتصالحان فيها تعود علاقتهما أقوى من السابق، ماذا سيحدث معهما؟ وما المستقبل الذي ينتظرهما؟ وهل سيحظيان بحياة عادية؟

لنتابع القصة ...

****

06/07/2008

أتذكر يومها كنت مع خالي جمال أساعده في أعمال البناء، لقد كان الجو حار جدا وقد نال مني التعب، جلست قليلا تحت ظل شجرة تين موجودة في باحة البيت الذي كنا نقوم بترميمه، حتى سمعت رنين هاتفي، التقطته بكسل وأنا أقول لم يا ندى لقد طلبت منك أن لا تتصلي بي في هذا الوقت فأنا أكون مشغول، نظرت إلى شاشة الهاتف وإذا بها أختي مريم وليست ندى، ضغطت الزر الأخضر لأجيب على المكالمة وإذا بي أسمع ضجيجا وزغاريدا وفوضى عارمة في البيت، ماذا يحدث عندكم ما الأمر؟

- مبروك يا آسر مبروك لقد ظهرت نتائج الباكالوريا وأنت من الناجحين.

- آه شكرا.

- ماذا أولست سعيدا؟

- بلى أنا كذلك ولكن ما بكم؟ أولم تكونوا متأكدين من نجاحي، هذا غريب! هل حقا كنتم خائفين من تعثر آسر أمام امتحان سخيف.

- نعم كفاك تفاخرا وعد باكرا إلى البيت نحن في انتظارك.

- جيد على كل حال، فأنا حصلت على تأشيرة للخروج من بلدتي الصغيرة هذه، والابتعاد قليلا والتخلص من الروتين الذي قتلني طوال هذه المدة، عدت إلى المنزل لتستقبلني العائلة بالتهاني والابتسامات ونظارات الفخر، كان الأمر ليكون تافها بالنسبة لي لكنه ليس كذلك إطلاقا، نعم فبعد أن رأيت نظرة أمي وسعادتها شعرت بشعور خاص هذه المرة وكأنني قدمت لأمي أغلى هدية على

الإطلاق، مضت الأيام وكل عائلتي تدللني أكثر من أي وقت مضى، حتى اجتمعنا على طاولة العشاء وفتحنا نقاشا حول أي تخصص سأدرس في الجامعة، فأنا حصلت على معدل جيد يفتح أمامي الكثير من الأبواب، لكن أنا كنت قد حسمت قراري بالفعل، فأنا سأكون مهندس طيران، بدا الجميع راض على قراري، بل وأقنعوا أنفسهم وتقبلوا الأمر فالجميع يعرف بأنني لن أغير قرارا اتخذته مهما كان، كما أنه عمل جيد ولا مشكلة فيه، فقط المشكلة كانت عند أمي بعد أن أخبرها أبي بأنني سأغيب فترات طويلة بسبب هذا العمل، لأن أغلب المطارات بعيدة جدا، لذا سيكون صعبا علي المجيء كل وقت أو كل أسبوع، أبدت أمي استياءها لكنها رضيت بالأمر في النهاية.

استمرت ندى في الاتصال ومطالبتي بزيارتها في منزلها لتعرفني على العائلة قبل مغادرتي إلى الدراسة، لم تعطني المجال لخلق الأعذار فقلت أنني سأزورها في عيد الفطر وبعد صلاة العيد ذهبت مع أبي إلى زيارة الأقارب كعادتنا في كل عام، أحب زيارة الأقارب مع أبي فهو سريع جدا ولا يضيع وقتا في الحوارات التافهة عكس أمي تماما، بعد ما يقارب ساعتين كنا قد انتهينا من الزيارات فتوجهنا إلى المنزل ليبقى أبي لاستقبال الضيوف، أما أنا فأخذت سيارته وتوجهت إلى مدينة تنس وبالضبط إلى ندى، لما شارفت على الوصول اتصلت بها لتوجهني إلى المكان الذي تنتظرني فيه، وصلت ركنت السيارة بحثت قليلا بنظراتي في المكان وإذا بي ألمح فراشتي الجميلة تقترب مني، لم يتغير فيها شيء منذ سنوات فقط ازدادت بضع سنتمترات في الطول، وأصبح جسدها أنثويا أكثر فهي

تنضج بالفعل، وقد قاربت على بلوغ السابعة عشر ربيعا، أتت وقد كانت تلبس لباسا غريبا وتضع على شعرها شالا أو خمارا بإهمال، لم تكن تضعه بالطريقة العادية، وإنما وضعته هكذا فقط فوق رأسها:

- ندى أولست متحجبة ما هذا اللباس الغريب الذي لا أستطيع تحديد ماهيته إن كان بنطالا أو بيجامة أو سروالا مسروق من جدك الخامس، ثم لم تضعين الخمار هكذا ونصف شعرك في الخارج؟

- يا آسر لم لا تبدي إعجابك فقط؟ هل يجب أن تعلق دائما، لقد قضيت ساعتين في صالون الحلاقة من أجل تعديل شعري، ولن أضع الخمار وأفسد المشطة بعد كل هذا العناء، على الأقل حتى تراها أنت، أما اللباس فهذه هي الموضة، وأعلم أنك لا تعرف شيئا عن الموضة أيها المتخلف، لذا أغلق فمك واتبعني.

تبعتها وأنا أتأملها وأقول في أعماقي كم أنت جميلة وبريئة يا ندى، ما يفسدك إلا دلالك الزائد عن اللزوم وسوف أجد له دواء، واصلنا المشي في أزقة ضيقة وكانت المباني بسيطة وقديمة ومهترئة إن صح التعبير، فقلت أين تأخذيني كل هذه المسافة؟ ألم نصل بعد؟ قالت بلى لقد وصلنا وهنا بيت فراشتك، عندها شعرت بخجل شديد، لكن لم يكن لي وقت للتراجع فقد فتحت السيدة خولة الباب بالفعل لتستقبلني بابتسامة جميلة، نعم أنا أعرف الآن من أين أخذت ندى كل صفاتها الجميلة، أذنت لي بالدخول فدخلت رفقة مدللتي التي بمجرد اجتيازها الباب كشفت عن شعرها لتريني مشطتها وتسألني عن رأيي، وكأنني أحتاج إلى تصرفاتها الصبيانية في هذا الوقت الذي أذوب

فيه من الخجل في حضرة السيدة خولة التي لم تفارق البسمة وجهها، قادتني إلى غرفة الجلوس وجلست معي قليلا تسأل عن حالي ثم اعتذرت لأنه كان عندها ضيوف آخرون يجلسون في الغرفة المجاورة لتتركني مع ندى نتبادل النظرات كعادتنا في كل لقاء.

-لم تقل لي رأيك عن شعري فأنت تراه لأول مرة؟

-حسنا يا عديمة الحياء إنك فاتنة حقا لكن لا داعي للتكبر وابقي متواضعة. ضحكت ندى ضحكة أضفت على وجهها جمالا ساحرا ثم قالت باسمة:

-حسنا لن أفعل لا تخف المهم أنا الآن تأكدت من سرقة قلبك وأنه لن تأخذه غيري...

جلسنا قليلا حتى جاء العم حسين، كاد قلبي يتوقف وقمت من مكاني وكأني سألاقي أحد جنرالات الجيش، بادرت ندى بالكلام وقالت:

- حسين هذا آسر الذي كلمتك عنه، آسر هذا حسين والدي وحبيب قلبي.

فتقدم للسلام علي، ورحب بي ثم قال: أتعلم بأني اضطررت إلى طلاء كل البيت من أجلك فقط؟ لقد أجبرتني ندى على ذلك، وقالت يجب أن يكون البيت نظيفا عندما يأتي آسر.

تبا لقد أخجلني هذا كثيرا، جلسنا قليلا مع بعض نتبادل أطراف الحديث، كان العم حسين شخصا رائعا وكثير المزاح، لذا لم أشعر بالضيق بل حتى أنني اعتدت عليه بسرعة، وصرت أمازحه أيضا، بعد قليل التحقت بنا السيدة خولة بعد انصراف ضيوفها لتجتمع كل العائلة في غرفة واحدة، وأنا بينهم، لم أكن أتوقع أنني سأتأقلم معهم بتلك

السرعة، أو بالأحرى بتلك البساطة، وكأنني أعرفهم منذ زمن بعيد، جلبت ندى صحنا من الحلويات المعدة منزليا وقالت أنها هي من حضرتها، إلا أن العم حسين كشفها وقال أنها لا تفقه شيئا في هذه الأمور لتتورد وجنتاها، واغتنمت الفرصة للضحك عليها واستفزازها، لقد كان الجو جميلا وقضيت وقتا رائعا معهم، حتى بدأ عمي حسين باستجوابي لقد سأل عن كل تفاصيل ماضيّ وحاضري وحتى ماذا أريد أن أفعل مستقبلا، ولم يتوقف عن استجوابي حتى بدا عليه الرضا، بعدها طلبت الإذن بالانصراف، لم يوافقوا على انصرافي قبل الغداء، لكني تحججت بأن والدي يحتاج السيارة لذا علي إعادتها في أقرب وقت، فأذنوا لي وقال العم حسين أنه سيرافقني إلى السيارة، خرجنا بعد أن ودعت السيدة خولة وندى التي كانت تبدو سعيدة جدا بزيارتي لها وتأقلمي مع عائلتها مشيت مع العم حسين فقال لي: أعلم أنك صديق ندى المقرب وربما أكثر من ذلك بكثير، لقد حدثتنا عنك كثيرا حتى أحببناك قبل أن نراك، ووثقنا بك وبأخلاقك فلا تكسر ثقتنا بك، ولا تكسر قلب ابنتنا، فقلت في دهشة فأنا لم أتوقع ما تفوه به: ماذا تقول يا عم حسين إن ندى هي أفضل صديق لي على الإطلاق ولن أفرط بها أبدا فقال لي إذن فهي أمانة عندك، هي تحكي لنا الكثير عن ما يحدث معها، لكن نعلم أن لها أسرارا لا تحكيها لغيرك، لذا بما أنك الأكبر سنا والأكثر نضجا عليك أن تمسك يدها وتوجهها إلى الطريق الصحيح في حال انزاحت عنه، فأنت تعرف طيشها، عجبت لتفكير هذا الرجل إنه حقا يعلم الكثير عكس بقيت

أبناء جيله ثم ودعته وركبت السيارة وعدت أدراجي إلى المنزل، بعد قضاء وقت جميل رفقة عائلة ندى.

مرحلة ما بعد الباكالوريا هي حقا مرحلة صعبة جدا في حياتنا، ففي هذه المرحلة وكأننا نصطدم بالحياة لأول مرة، فعني أنا شخصيا شعرت بذلك التغيير الكبير، شعرت بأني خرجت من تحت جناح عائلتي لأواجه هذه الحياة القاسية وحدي، نعم لدي حياة خاصة بي يجب أن أبنيها، يجب أن أُكوّن نفسي وأبني مستقبلي، يجب أن أرتب حياتي، فقد حان وقت الجد ويكفي إهمالا وكسلا، في أول خطواتي في دراستي الجديدة، لقد التحقت بمعهد خاص بالطيران ،كان فيه كل شيء منظم ولا مجال للتكاسل أو الاستيقاظ متأخرا، كما اعتدت طوال حياتي، تبا لهم، إنهم يوقظوننا قبل السادسة صباحا لنبدأ جولتنا الرياضية في تمام السادسة، ساعة من الرياضة ثم يسمحون لنا بالاستحمام وتناول الفطور ثم لبس بدلتنا الزرقاء الموحدة، وبعدها يرسلوننا في مجموعات منظمة نحو قاعات الدراسة، كنا ندرس الكثير من المواد الجديدة، فنحن لم ندرس عنها شيئا في الثانوية، مواد كثيرة لا أذكر أغلبها، ولكن كلها متعلقة بالطيران: الهيدروليك والمناخ والكهرباء الطائرات ودراسة الهيكل والمحركات وغيرها، حتى أننا درسنا اللغات الأجنبية، الفرنسية والإنجليزية، وحتى الروسية وإن كنا قد درسناها فقط سطحيا، المهم لم يكن لنا ساعة لنتنفس فيها، فنحن ندرس طوال اليوم، والمدرسون لا يفوتون أي حصة أبدا، كنا نحصل على حريتنا بعد الساعة الخامسة مساء فقط، وقتها اعتدنا على الخروج إلى المدينة لشراء بعض

الحاجيات، والتجول ونسيان ضغوطات الدراسة، وأحيانا نتوجه إلى قاعة الرياضة لمشاهدة بعض الرياضيين وهم يقومون بالتدريبات، وقد كان هناك حلبة ملاكمة… أه الملاكمة.

لقد كنت أذهب كل مساء هناك لأتدرب وأعزز من قدراتي ليس لسبب محدد ولكني أحببت الملاكمة حقا، بعيدا عن الرياضة سأكمل فيما يخص المهنة، بعد دراسة مختلف المواد كان علينا أن نتخصص في مجال معين وكان نصيبي هو إدارة المطارات، كرهت ذلك في بداية الأمر فأنا كنت أريد التعامل مع الطائرات مباشرة كتصليح المحركات أو أجهزة الإرسال أو الصندوق الأسود، ولكن المدرسين اختاروني في قسم الإدارة بحجة أني أمتلك ذكاء وعبقرية في الحسابات، وستفديني في الإدارة والتسيير، وسرعان ما تقبلت الأمر واعتدت عليه بل وأعجبني لاحقا، بعد تخرجنا وتفرقنا في مختلف المطارات بدأت العمل وكنت جيدا فيه، باختصار بدأت حياتي تنتظم فأنا أصبحت رجلا له مسؤوليات، يقوم بعمله ويسعى لبناء حياة جيدة، كان كل شيء يسير كما أردت إلى أن تلقيت ذلك الاتصال.

أذكر ذلك اليوم جيدا كان السابع من شهر نوفمبر سنة ألفين وأحد عشر، نعم إنها ندى من تتصل، كل فترة دراستي لم تكن علاقتنا جيدة فقد ازداد معدل شجراتنا وازدادت فترات انقطاعنا عن بعض فلم أكن أذهب إلى المنزل كثيرا ولا أذهب إليها لإرضائها كما عودتها في السابق، لكن لم يتغير اهتمامنا ببعضنا أبدا، تلقيت الاتصال وقد كنت لم أسمع صوت ندى منذ شهر كامل.

-مرحبا ندى .

لم أسمع شيئا ولكني متأكد أنها تبكي، ما الأمر ندى تكلمي؟ فنطقت أخيرا بصوتها المبحوح الذي اعتدت عليه دائما عندما تأتيني باكية:

- آسر أنا أريد أن أموت...

****

لقد اتصل بي وقال لي يجب أن نلتقي اليوم، وكان يتحدث بنبرة صوت حادة، فقلت ماذا تريد بعد كل هذا الوقت؟ اتركني وشأني اخرج من حياتي، فقال:

- سوف تأتين اليوم أو سآتي أنا إلى والدك المتخلف، وأريه بعض الصورة اللطيفة لابنته الجميلة.

- أي صور أنا لا أملك أي صورة غريبة.

- لدي بعض الصور الجميلة معك، ومع برامج التعديل على الصور جعلتها أجمل، فقد استمتعت مع أصدقائي ونحن نعبث بصورك، لذا لنلتقي اليوم ولا تعاندي، وإلا أنت تعرفين جيدا ماذا يمكنني أن أفعل بك.

- حسنا سوف آتي لكن عدني أن تمسح كل صوري.

- أنا أعدك، سوف أعطيك حتى بطاقة الذاكرة التي تحتوي على كل صورك.

- حسنا أين نلتقي؟

-تعالي إلى العمارة التي تسكن فيها ياسمين، واتصلي بي عندما تصلين.

فقمت من فوري وكل جسدي يرتجف، لبست ملابسي وأخبرت أمي أني سأزور ياسمين، وانطلقت مسرعة إلى وجهتي، ويا ليتني لم أفعل، كانت الساعة حوالي الثانية ظهراً، كان الجو بارد جدا، وصلت إلى العمارة فأخرجت هاتفي واتصلت به، فطلب مني الصعود عبر الدرج ففعلت حتى وجدته في بهو البيت ينتظرني، قلت له:

-ها أنا أتيت أرجوك أعطني البطاقة، ودعني أذهب واخرج من حياتي نهائيا.

- حسنا إني أضع البطاقة في الداخل، تعالي معي.

- لا لن أدخل معك إلى البيت، فسحبني بقوة من يدي وأدخلني إلى البيت وأوصد الباب من خلفه، فهددته

بأني سأصرخ بكل صوتي إن لم يفتح الباب ويتركني أذهب في سبيلي، فما كان منه إلا أن سحب سكينا من خلف ظهره وقال بوحشية.

- اصرخي إن كنت تريدينها أن تكون آخر صرخة لك.

عندها علمت أن مصيبة كبيرة ستحدث، شعرت أن الدم تجمد في عروقي ولم تقدر قدماي على حملي فسقطت على وجهي.

شعرت أن الدنيا دارت بي، ثم فتحت عيني لأجده جالسا مقابلي على أريكة سوداء كسواد وجهه، وهو ممسك بسكين يضرم فيه النار بقداحة وهو يبتسم ابتسامة الذئاب ويقول: هيا ندى انزعي عنك ملابسك لا تضيعي الوقت، بكيت كثيرا ترجيته أن لا يفعل بي هذا قبلت قدميه وتشبثت بهما، لكنه وضع سكينه الساخنة على يدي فاحترقت وتراجعت مرتعبة، فقفز علي وشدني من خماري فنزعه، وبدأ بضربي كلما حاولت إبعاده، وأخذ ينزع عني ملابسي... لا أستطيع إكمال كل ما حدث، لكنني لم أخرج من ذلك المنزل إلا بعد أن امتلأ جسدي بالندوب وأفقدني عذريتي.

خرجت من وكر قاتلي وأنا أمشي لا أعلم أين أذهب، فانتهى بي المطاف على شاطئ البحر، جلست بين الصخور أبكي بحرقة لا أعلم ماذا أفعل ولا من أنا أصلا، جلست طويلا في حالة شرود حتى شارفت الشمس على المغيب فوجدت نفسي أخرج هاتفي وأبحث عن اسم آسر، لا أعلم لم لكن شيئا ما بداخلي جعلني أتصل، ضغطت الزر

الأخضر ووضعت السماعة على أذني أنتظر سماع ذلك الصوت الذي لطالما واساني، لطالما شجعني لطالما أفرحني وأضحكني، لكن أي مواساة اليوم بعد ما أصابني وأي تشجيع سيردني وأي فرحة سأرى بعد يومي هذا لحظات وإذا بي أسمع ذلك الصوت، نعم سمعته وهو ينادي باسمي الذي فقدته للتو، ندى ماذا حدث؟ ندى تكلمي، أحسست من صوته أنه شعر بالمصيبة التي حلت بي، شعرت حينها بألف سكين تنغرس في جسدي فلم أقدر على فعل شيء سوى البكاء بحرقة وقلت له بأني أريد أن أموت، وسقط بعدها هاتفي من يدي ليتسلل بين الصخور وينتهي إلى أعماق البحر...

آه كم تمنيت أن أنتهي إلى ما انتهى إليه هاتفي ليتني أغرق في هذا البحر العميق ولا يجد جثتي المُغتصبة الذليلة أحد، مررت بحالة شرود، لا أعلم في أي عالم أنا، حتى شعرت بيد تربت على كتفي فاستدرت في ذعر وإذا بها ياسمين فقفزت إليها أعانقها وأبكي، وكم كنت بحاجة إلى من يعانقني ويخبئني عن هذا العالم البشع، فتحدثت بصوت حزين وكأنها هي الأخرى شعرت بما أمر به:

- آه يا ندى أنا أبحث عنك منذ ساعات وأمك اتصلت بي عشرات المرات واضطررت إلى الكذب في كل مرة لأنك لم تردي على اتصالاتها، هيا بنا ستذهبين معي إلى منزلي لتنظفي نفسك ونجد لك بعض الملابس النظيفة ثم تحكي لي ما أصابك، وما سبب هذه الحالة المزرية التي أنت فيها أما الآن فدعينا نتصل بأمك ونستأذنها لتبيتي عندي الليلة.

وافقت على كلامها فأنا لم يبق لي عقل يفكر أصلا فمشيت معها وذهبنا إلى منزلها استحممت وأعطتني

بعض ملابسها، شعرت ببعض الراحة بعدها ثم ذهبت إلى غرفتها واستلقيت على سريرها ليبدأ عقلي بإعادة تشغيل كل ما مررت به اليوم، وتبدأ عيني بذرف ما تبقى بها من دموع، بكيت طوال الليل ولم تشأ ياسمين أن تقاطع موجة حزني، بل اكتفت بالاستلقاء بجانبي ومعانقتي وذرف الدموع معي حتى نامت بتلك الحالة، وعندما استيقظت صباحا حكيت لها كل ما حدث معي فذعرت وكادت أن تفضحني بردة فعلها وارتفاع صوتها في المنزل وعائلتها فيه.

طلبت منها ان تهدأ وتفكر معي في حل، إلا أنه لم يكن في رأسها سوى إخبار أبي وتقديم شكوى إلى الشرطة، من دون أن تضع في الحسبان أن حسين سيقتلني مباشرة قبل أن يترك لي مجالا لإخباره بتفصيل ما حدث، لذا كل ما علينا فعله هو إخفاء كل ما حدث وسيكون هذا سري الكبير الذي لا يعلمه سوى أنا وأنت، سأبقى اليوم أيضا عندك على الأقل لتخف آثار الندوب على وجهي وسنحاول إيجاد حجة ما لإقناع أمي ببقائي اليوم وسنرى ما يخبئه لي قدري، وبالفعل بقيت تلك الليلة أيضا عند ياسمين ولازال كل ما حدث يعصر قلبي ويحرمني من النوم، وفجأة شعرت بشيء ما داخلي يطلب مني الاتصال بمصدر النور الوحيد القادر على إنارة ليلتي الحالكة هذه، فتسللت إلى الجهة الأخرى من السرير وسحبت هاتف ياسمين التي كانت تغط في نوم عميق ثم كتبت أرقام هاتفه التي أحفظها عن ظهر قلب، وانتظرت رده على الاتصال، وإذا به يرد من فوره وكأنه كان ينتظر اتصالي في هذا الوقت.

- آسر!

- نعم أنت ندى؟ ماذا حدث أنا أتصل منذ البارحة هاتفك مغلق، ما الأمر لقد أقلقتني كثيرا !!

- آسر أنقذني أرجوك، تعال أرجوك أنا لن أتحمل أكثر.

- ما الأمر ندى تكلمي أنا أسمعك؟

- لا تعال يجب أن تأتي إلي.

-حسنا ندى سوف آتي لكن أنا في مقر العمل وأنا بعيد جدا كما تعلمين إنها مسافة ألف كيلومتر تقريبا.

- آسر لا يهمني كيف ستأتي، المهم أنت ستأتي قبل أن يسبقك موتي، سأغلق الخط أنتظرك...

***

سأكمل أنا من هنا، لقد بقت ندى عندنا يومان، وفي اليوم التالي كان يجب أن أوصلها إلى البيت، طبعا اتفقنا على أن لا نذكر أي شيء مما حدث معها، ودبرنا حجة الغياب والبقاء عندي في اليومين المنصرمين، وصلنا إلى بيتها وأخبرنا خالتي خولة أن لصوصا قد سرقوا هاتف ندى بعد أن ضربوا وجهها عندما حاولت أن تقاوم لذا بقيت عندي، لأنها كانت مرتعبة ولم تشأ أن ترعبكم وهي في تلك الحالة، على الأقل حتى تهدأ وتعود إليك، بدت الخالة خولة مرتعبة جدا وضمت ندى إلى صدرها وبدأتا في البكاء وهي تقول آه يا ابنتي الحمد لله أنك عدتي إلينا سالمة، لم أستطع مقاومة دموعي فأنا أعرف أن الأمر أسوء بكثير، لذا اعتذرت منهما وخرجت، في طريق العودة إلى منزلي وأنا أفكر في حالة هذه المسكينة وأي مستقبل ينتظرها، وأنا في تلك الحالة شاردة في تفكيري حتى أيقظني رنين هاتفي فأخرجته لأرى من يتصل وإذا به رقم آسر.

- أين أنت ياسمين؟

-ما الأمر آسر! فأجاب بنبرة حادة أرعبتني:

- تحدثي لا أملك وقتا أين أنت الآن؟

- خرجت للتو من بيت خالتي وأنا أنتظر الحافلة لأعود إلى المنزل.

- حسنا ابقي عندك لا تركبي أي حافلة سأوصلك أنا، سأغلق الخط.

- مهلا ألو! آه يا آسر هل أخبرتك ندى وأنت هنا من أجل مصيبة !هذا واضح من نبرة صوتك!

انتظرت قليلا حتى توقفت بجانبي سيارة سوداء لا أعرف نوعها ونزل منها آسر، لم أكن قد رأيته منذ سنوات

لكني عرفته، لقد ازداد طولا وبرزت عضلاته أكثر وازداد وسامة مع اللحية الخفيفة التي قصها بعناية، نظر إلي نظرة اخترقت كياني وزعزعت جسدي، لقد شعرت بالخوف لأول مرة من صديق! ألقى التحية وفتح لي الباب وطلب مني الصعود، لم يكن لي سوى أن أصعد فمن نبرة صوته هو لم يطلب مني الصعود بل أمرني، انطلقنا في طريقنا ومضى بعض الوقت ولم يتفوه بكلمة حتى كاد قلبي يتوقف، وفجأة أوقف السيارة بجانب الطريق والتفت إلي وقال بنبرة صوته المخيفة:

كيف أقنع أمين ندى بالمجيء إلى عمارتكم يوم الأربعاء؟

- كنت سأقول له لما لا تسأل ندى؟ ولكني لم أتجرأ على قول أي كلام آخر غير الإجابة عن أسئلته، فقلت له:

- لم تخبرني ندى بشكل مفصل لكنه يملك بعض صورها وهددها بها.

- همم كنت متأكدا من هذا إذن إنه أنت أيها الفاسق الداعر، من سينقذك مني اليوم؟ قال هذا آسر والشرر يتطاير من عينيه وعلمت حينها أني أفشيت سرا خطيرا كانت ندى قد أخفته عنه، علمت أن ندى لم تخبر آسر أن أمين هو من فعل بها هذا ولكنه يعلم الآن واستغل غبائي ليتأكد من ذلك، فهو لا يهمه كيف استدرجها الجاني وإنما يريد الجاني نفسه.

أدار محرك السيارة مجددا لنواصل الطريق وقالي لي:

- حسنا ياسمين سأوصلك الآن إلى المنزل هناك الكثير من الأسئلة في رأسي لكن لن أزعجك بها الآن.

- نظرت إلى عينيه وإذا بها نظرة ذئب شرس سينقض على فريسته، واضح أنه لم يقطع كل هذه المسافة ليسألني مجرد سؤال واحد، بل كانت غايته التأكد من الجاني ومعرفة العمارة التي يسكن فيها، فهو يعلم أنه يسكن معي في ذات العمارة، كان يجب أن أفكر في شيء لمنعه من الوصول إلى أمين ، فالشاب الجالس بجانبي يبدو مصمما على ارتكاب جريمة.

عندما شارفنا على الوصول طلبت منه أن يتوقف بحجة أني لا أريد أن يراني والدي وأنا في سيارة شاب غريب فتوقف، نزلت من السيارة وودعته ثم تمشيت لأختفي بين الأزقة وتوجهت إلى منزلي وكنت ألقي نظرة خلفي بين الحين والآخر، لأتأكد أنه لا يوجد من يتبعني، كان وقت الظهيرة والبرد قارص والأزقة فارغة، ولكن عندما وصلت إلى عمارتنا وجدت مجموعة من الشباب يتضاحكون ويدخنون السجائر وكأن لا منازل لهم تقيهم من هذا البرد، لكن فجأة لمحته بينهم، إنه ذلك النجس أمين يضحك بدم بارد ويبدو مستمتعا بوقته مع أصدقائه كأنه لم يفعل شيء! آه كم تمنيت لو تنشق الأرض وتبتلعه، لم أطق النظر إلى وجهه البشع فأكملت المشي ودخلت إلى منزلي القابع في الطابق الأول.

كنت سأغير ملابسي لكني فجأة سمعت صوت مكابح السيارة أسفل البلكونة وواضح أن صاحب السيارة مستعجل جدا!

هرولت إلى النافذة فقد راودني الشك في أن يكون صاحب السيارة هو الشخص نفسه الذي أتمنى أن لا يكون هو لكن للأسف إنها نفس السيارة التي كنت أركبها قبل قليل.

حاولت أن ألقي نظرة لكن زاوية النظر لم تساعدني لأرى ، لذا اكتفيت بالتنصت، قال آسر بصوته المخيف.

- أين أجد أمين جابر؟

فرد عليه صوت أعرفه جيدا:

- أنا هو ماذا تريد؟

وبعدها بدأت فوضى عارمة من دون أي كلام آخر غير بعض الشتائم، واضح أن آسر دخل في شجار معهم، شعرت بالرعب أردت الخروج لفعل أي شيء أقدر عليه ولكن عضلاتي أبت أن تحرك أطرافي وصعوبة شديدة تحركت أخيرا وخرجت مسرعة من الباب، نظرت على يميني فوجدت أربعة شباب ساقطين على الأرض مدرجين بالدماء ولا وجود للخامس! ونظرت إلى اليسار فإذا بي ألمح السيارة السوداء تنطلق بأقصى سرعة، فانطلقت أنا أيضا أهرول خلفها من دون أن أفكر، وبعد بضع أمتار رأيت سيارتنا قادمة من الطريق الآخر لقد كان أخي عماد، ذهبت مسرعة إليه ركبت وطلبت منه أن يلحق بالسيارة السوداء بسرعة ووعدته أن أشرح له في الطريق.

في الطريق شرحت لأخي ما يحدث لكني كذبت عليه نفس الكذبة التي كذبتها على الخالة خولة، وأخبرته أن هذا

آسر صديق ندى عرف أن أمين هو من سرق ندى وضربها، لذا هو الآن سينتقم منه، تفهم أخي الوضع لذا تتبع سيارة آسر إلى أن توقف قرب بناء قديم يبدو أنه مستودع مهجور، كان يبعد بضع كيلومترات عن المدينة، توقفنا نحن أيضا بعيدا نراقبه، نزل آسر وفتح صندوق سيارته ليخرج أمين، كان فرق القوة شاسعا جدا، فهو لم يضطر لتقييده حتى، وإنما اكتفى بإسقاطه أرضا وبدأ يجره من رجله جرا وكأنه بعير، حتى وصل به إلى باب المستودع، همّ أخي بالنزول من السيارة لكني منعته، فأنا لن أترك أخي يذهب إلى ذلك الوحش المستعد لمهاجمة أي شخص يحاول الاقتراب من فريسته!

فقلت لأخي نحن يجب أن نتدخل قبل أن يقتله، لكن يجب أن تأتي ندى فهي الوحيدة القادرة على منعه، لذا اذهب أنت الآن لتجلبها وإياك أن تخبر أي مخلوق بما يحدث، وأنا سأتصل بندى لتلاقيك في الطريق، تفهم عماد فنزلت أنا من السيارة وانطلق هو ليجلب ندى، أخرجت هاتفي واتصلت بالخالة خولة وقلت لها أن أخي عماد وجد من سرق الهاتف وبلغ الشرطة وسوف يعيد لها هاتفها لذا سيأتي عماد ليقلها، قالت الخالة خولة أنها سترافقهما لكني قلت أن لا داعي لذلك فكل شيء بخير وسوف نذهب للتسوق قليلا بعد استرجاع الهاتف، فوافقت بعد أن تذمرت قليلا، ودعتها وأغلقت الخط وتسللت ناحية المستودع بحذر.

لقد كان المكان مخيفا، فلا يوجد أي مخلوقات على مد البصر، كان يقع المستودع في مكان جبلي من خلفه غابة

كثيفة، ومن الأمام أرض حجرية قاحلة، لا أعرف كيف وجد آسر هذا المكان ولكن واضح أنه خطط لكل شيء!

التفتت خلف المستودع لأبحث عن أي ثغرة أستطيع النظر من خلالها لما يحدث في الداخل، فوجدت نافذة صغيرة في الأعلى لا تكفي قامتي القصيرة للوصول إليها فاضطررت لتجميع بعض الصخور لأرتقي إليها، فوجهت نظري إلى الداخل وإذا بي أبصر أمين وهو مقيد إلى عمود فولاذي مجرد من كل ملابسه، بدأ قلبي يخفق بقوة، ماذا يريد أن يفعل به هذا المجنون؟ كان آسر يقف مقابل وجه أمين وبجانبه فرن صغير يشتغل بقنينة غاز، أشعل الفرن ووضع فوقه سكينا لتسخن، عرفت حينها ماذا سيفعل به، سيجعله يذوق من ما أذاق ندى!

شيء ما بداخلي شعر بالراحة أو بالأحرى السعادة، رغم كل الرعب الذي كنت فيه، بعدها بدأ آسر في الكلام

- لماذا؟ ماذا فعلت لك؟ إنها حتى لم تبلغ بعد؟ أيها الحثالة العفن لقد علمت بأنك رفعت يدك عليها وضربتها قبل سنوات، صدقني من وقتها وأنا أريد تمزيقك ولكني تجنبت لقائك أو حتى رؤية وجهك القبيح هذا، لأنني أعرف جيدا ماذا يمكن أن يفعل بك الوحش الموجود بداخلي، وسترى الآن بنفسك، حاولت أن أنسى وأنساك ولكنك رجعت الآن لتفعل بها الأسوأ!

كان أمين يهدد آسر أنه سيصيبه الويل منه ومن أصدقائه وعائلته إن لم يتراجع عن ما يحاول فعله به، لكن مع الوقت بدأت نبرة صوته تخف، فنظرة آسر الشرسة لم تتغير وكأنه لا يسمع شيئا، تبدل تهديد أمين إلى طلب المسامحة والمغفرة والرحمة، وقال أنه لن يفعل هذا

مجددا مادام حيا، أخبره أنه لن يقترب من أي شارع تتمشى فيه ندى، لكن أيضا لم تتغير نظرة آسر المخيفة، فانفجر بالبكاء والصراخ وهو يطلب المغفرة، تحرك آسر ووضع شيئا ما في فم أمين ليخرسه، ثم أخذ السكين من فوق الفرن وبدأ بتشويه الجسد العاجز أمامه من دون أي رحمة في مشهد تقشعر له الأبدان.

شعرت بالغثيان لم أستطع مشاهدة ما يحدث وأمين يتلوى ويحاول الصراخ وآسر بكل برود يضع السكين فوق الفرن تارة وفوق جسد فريسته تارة أخرى،كان أمين يصرخ حتى يفقد الوعي ثم يرمي آسر عليه الماء ليستيقظ ويواصل تعذيبه!

هربت من ذلك المنظر وجلست على الأرض وكل جسدي يرتجف والعرق يتصبب منه، حتى سمعت صوت سيارة فهرولت إليها، نعم إنه أخي عماد وبرفقته ندى.

****

لقد كنت مذعورة جدا وأنا في سيارة عماد ذاهبين إلى حيث يوجد آسر وأمين!

آه يا إلهي آسر وأمين في مكان واحد !أسرع أرجوك يا عماد، إنها كارثة أنا أعلم هذا، آه يا آسر كيف عرفت أن أمين هو من فعل بي هذا؟ حسنا هذا لا يهم الآن يجب أن أدركك قبل فوات الأوان، وصلنا أخيرا إلى مستودع يبدو مهجورا من زمن وكانت سيارة سوداء مركونة بجانبه، إنها سيارة آسر من دون شك، قفزت من السيارة بسرعة وهرولت باتجاه المستودع، كدت أن أضع يدي على الباب حتى أمسكتني يد أقوى! إنه آسر:

- ماذا تفعلين هنا؟

- آسر ماذا تفعل يا آسر؟ أرجوك عد إلى رشدك وتوقف عن ما تفعله، هل أمين بخير؟ هل هو حي تكلم هل هو حي؟ ماذا فعلت به تكلم أرجوك!

- إنه نصف حي (أتت الإجابة من ياسمين التي ظهرت من خلف المستودع).

- ماذا! ماذا تقصدين؟ دعني أدخل اترك يدي يا آسر.

بقي آسر واقفا شامخا لا يتزحزح وممسكا بيدي بكل قوته ونظرة عينيه تثير الرعب في النفوس.

- تكلمت ياسمين مجددا لا يا ندى لا داعي للدخول فلتغادري أنت وآسر وسنهتم أنا وعماد بالباقي، أرجوك يا آسر لا تعترض ولا تعاند.

- حسنا سوف نغادر.

- قال آسر هذا بصوت هادئ أثار دهشة الجميع.

وكب السيارة وركبت معه، وأدار محرك السيارة وانطلقنا تاركين خلفنا ياسمين وعماد وجسد أمين الذي لا

أعرف ماذا حلّ به، كنت لا أزال أنظر إلى آسر ولازالت الدهشة على وجهي، فلم أتوقع أن ينصاع لكلام ياسمين بتلك السهولة وينصرف، فنطق آسر أخيرا وكأنه فهم التساؤلات التي تدور في رأسي:

- أنا سأقتله لاحقا.

أرجوك يا آسر لا تزد الطين بلة، ليس أنت من يفعل هذا، لست أنت الشخص اللطيف الذي لطالما أحببته.

- إنها غلطتك يا ندى، لن أقول لما ذهبت إليه من الأساس، ولكن أنت لم تبلغي عنه الشرطة ولم تخبري حتى عائلتك فماذا تتوقعين مني أن أفعل؟ هل أترك هذا الحيوان من دون عقاب؟ لقد قتلك يا ندى قتلك، وأنا سأقتله.

- حسنا يا آسر أنت قتلته تقريبا لذا اهدأ الآن.

لم يبد آسر راضيا لكن بدا وكأنه هدأ قليلا، طلبت منه أن يوصلني إلى مقر خدمات الاتصالات من أجل الحصول على شريحة اتصال جديدة بنفس رقم الشريحة القديمة، وكان علي أيضا شراء هاتف شبيه بهاتفي الذي أوقعته في البحر من أجل أن لا ترتاب أمي، ففعلت ثم أوصلني إلى المنزل ورحل.

دخلت إلى البيت تحدثت قليلا مع أمي ثم ذهبت إلى غرفتي وأغلقت الباب، أخرجت هاتفي بسرعة واتصلت بياسمين، أخبرتني أن كل شيء بخير وقد تم نقل أمين إلى المستشفى، بهذه السرعة!

أطلعتني بما فعلت ولقد أبهرتني حقا بذكائها وفطنتها، فبعدما تركناهما، دخلا عند أمين والذي كان غائبا عن الوعي فجمعا كل الأغراض التي كانت حوله من سكين

وفرن وصندوق يحتوي على بعض الأدوات كالكماشة ومفك البراغي وغيرها، وضعا كل شيء في السيارة وغادرا ، وفي الطريق وجدا رجلا كهلا يرعى الغنم فركنا السيارة بعيدا عنه وذهبت إليه ياسمين ملثمة بخمارها وأخبرته عن وجود شاب بين الحياة والموت في مستودع قريب من هنا، ثم عادت إلى السيارة وجلسا يراقبان من بعيد، وماهي إلا لحظات حتى وصلت سيارات الشرطة وسيارة الإسعاف وتم نقل أمين إلى المشفى، أراحني هذا كثيرا وشعرت ببعض السعادة،كما أني شعرت ببعض الرضى بداخلي فرغم كل الرعب الذي مررت به اليوم إلا أنني شعرت بنار انطفأت بداخلي، لأن آسر انتقم لي ونال أمين جزاءه.

الدب

أنا الدب !أتيت إلى هنا في العاشر من شهر فيفري أي منذ حوالي ستة أشهر فقط ولكني أصبحت ذائع الصيت هنا واسمي له وزنه وهيبته، أذكر أول يوم لي هنا، أتيت محطما مكسور القلب أتيت جثة بلا روح، جلبوني إلى هذا المكان القذر الذي يشبه الجحيم مقيدا بالسلاسل وكأني كلب مسعور، سحبوني إلى زنزانة جدرانها سوداء كسواد الليل، لاحظت أن بقية الزنازين كانت فارغة آنذاك فسألت أين البقية؟ فأخبرني السجان أن الجميع في العمل وسأبدأ انا أيضا العمل ابتداءاً من الغد، دخلت إلى زنزانتي وأغلق علي الباب وأخبرني أنه سيأتي لأخذي وقت العشاء.

جلت بنظري في أرجاء الغرفة لأرى مسكني الجديد الذي سأقضي فيه عشرين سنة من حياتي! كانت الغرفة ضيقة جدا ولا تحتوي إلا على سريرين صدئين أحدهما فوق الآخر وطاولة صغيرة عليها مصباح مكتب وحمام صغير في الزاوية هذا كل شيء، كان السرير السفلي مفروشا أما العلوي فكان ينتظرني لأضع عليه فراشي الذي أعطوني إياه قبل قليل، أنا أعلم الآن أنني أملك زميل غرفة ، هل هو متنمر مثل الذين أراهم في القصص والأفلام! همم من يهتم؟

جهزت سريري بما أعطوني من فراش ثم استلقيت عليه ليرتاح جسدي المنهك حتى أخذني النوم من دون أن أشعر.

بعد حوالي ساعة أو ساعتين استيقظت مرعوبا على صوت طرقات السجان على باب زنزانتي الفولاذي، وقال

أنه سيأخذني إلى المطعم لوجبة العشاء، سرت معه في الممرات الضيقة للسجن حتى وصلنا إلى محطتنا، فتح الباب وإذا بي أرى حشدا كبيرا من الرجال يلبسون لباسا موحدا كالذي ألبسه شبيها بلون حمار الوحش، يجلسون هنا وهناك بطريقة عشوائية ويتناولون الطعام في أطباق معدنية مألوفة، فهي أيضا تستخدم في مطاعم الجامعات، تبا يجب أن يغيروا هذه الأطباق للطلاب المساكين! بعد لحظات سكت الجميع والتفتوا إلي يرمونني بنظرات البغض والحقد وكأنني عدوهم، شعرت حينها أنني مجرد خروف صغير وسط قطيع من الذئاب تتجهز لافتراسي، أخذت طبقي ومشيت بينهم أبحث عن مكان فارغ يمكنني الجلوس فيه، وكلما وجدت واحدا وهممت بالجلوس ينطق أحد الجالسين على الطاولة "إن المكان محجوز" فأنهض مجددا لأبحث عن مكان آخر، بقيت على هذه الحال عدة دقائق كلما أجد مكانا ينطق أحدهم ويقول محجوز، حتى اكتفيت وجلست رغما عنهم.

علمت أن شيئا سيئا سيحدث، لكن علمت أيضا أنه يجب أن يحدث!

على الأقل سيعلم هؤلاء الذئاب أني لست مجرد خروف خائف من أنيابهم، بل دب سيدق رقابهم إن حاولوا لمسي، وبالفعل بعد لحظات قام الذي كان يجلس بجانبي الأيمن وأمسك طبقي وكان سيسكبه علي ولكني أمسكت يده وباغته بلكمة يمينية على فكه فخرّ ساقطا مغشيا عليه، انتفض بعدها كل من كان يجلس على الطاولة، نهضت من مكاني وتراجعت قليلا واتخذت وضعية الملاكمة التي أتقنها جيدا، وبدأت في إسقاط كل من يدخل في مجال لكمتي،

استمروا بالوفود إلي واستمررت في إسقاطهم حتى باغتتني مجموعة أخرى أتت من خلفي لم أحسب لها حساب، فأسقطوني وانهالوا علي بالضرب، ومن حسن حظي تدخل السجانون في الوقت المناسب لأخرج بأقل الأضرار فقد فقدت نابا واحدا من أنيابي وتشققت اثنين من رباعياتي، وبعض الكدمات الخفيفة في مختلف أرجاء جسدي، أمسكني السجانون وأوقفوني على قدمي ونظرت إلى ضحاياي الذين أكلوا من لكماتي وفقدوا وعيهم والسجانون يجرونهم كالخرفان، شعرت حينها بشعور رائع، شعرت بالرضى، شعرت بأني نفست عن غضبي في المكان والزمان المثاليين، ولكني أرغب في المزيد!

صاح أحد السجانين على من يمسكانني ويبدو أنه قائدهم وقال خذوه إلى الانفرادي، سحبوني بعنف فتمشيت معهم من دون أن أقاوم، فقد كنت راض تماماً على ما فعلت، ثم لمحت السجان الذي قادني سابقا إلى زنزانتي، فقلت له بابتسامة ساخرة "يبدو أنني لن أعمل غدا".

قضيت أسبوعا في الانفرادي، لن أخبركم عن حجم الغرفة الضيقة ولا عن الرائحة الكريهة ولا عن الجرذان والحشرات والماء القذر الذي يقطر من السقف باستمرار، يكفي أن أخبركم أنني قضيت أسوء سبعة أيام في حياتي، فهي قد مرت كأنها سبعة سنوات بكل ما للكلمة من معنى وأنا أعني ما أقول، خرجت في مساء اليوم السابع وأخذوني مباشرة إلى ساحة السجن حيث كان يقضي المساجين فترة راحتهم المسائية، كانوا يجلسون على شكل مجموعات، هناك من يلعبون الشطرنج وهناك من يمارسون رياضة كمال الأجسام وهناك من يلعبون كرة

السلة وهناك مجموعة يطالعون الكتب... وغيرها الكثير وقفت في الساحة فعمّ الهدوء كما حدث في أول يوم في المطعم، واستدار الجميع ناحيتي وأخذوا يتأملونني بنظراتهم، نعم إنها نظرات مختلفة تماما عن المرة السابقة، فقد رأيت في السابق فقط نظرات الاستحقار، أما الآن فأرى أنواعا جديدة من النظرات، نظرات حقد، نظرات خوف، نظرات مكر، نظرات باسمة، نظرات فخر... حسنا يبدو أنني كنت موفقا في طريقة دخولي إلى هذا الجحيم.

جلست في زاوية وحدي وبقيت أتأمل المكان وعاد كل المساجين إلى ما كانوا يفعلون بعدما اكتفوا من التحديق بي، جلست لحظات حتى جاءني أحد المساجين وقال لي التمساح يدعوك لتشاركنا جلستنا، فرفضت وتركته ينصرف، بعد لحظات جاء شخص آخر وقال الضبع يرسل لك تحياته ويدعوك لتشاركنا جلستنا، رفضت أيضا ورحل، جاء شخص ثالث أيضا -يبدو أنهم لا ينتهون_ فقلت له أي حيوان يريدني أن أشاركه جلسته؟ أرجوك أخبره بأنني أعتذر فلست في مزاج يسمح لي بالجلوس مع أحد، فقال حسنا الثعبان يرسل تحياته وسيكون سعيدا إذا ما شاركتنا جلستنا عندما يسمح لك مزاجك بذلك.

غريب أمرهم، من يهتم؟

فجأة سمعنا رنين الجرس معلنا عن نهاية فترة الاستراحة، مشيت حيث يتمشى المساجين وقد أخذوا مناشف معهم، إذن إنه وقت الاستحمام، أنا لم أحصل على أي مناشف فلم يكن عندي وقت لذلك لذا سألت أحد السجانين فطلب مني الجلوس والانتظار حتى يجلب لي لوازم الاستحمام الخاصة بي، جلست في الرواق قريبا من

الحمام، ثم جاء رجل أربعيني بزي المساجين وعلى كتفه منشفة وجلس بجانبي، فقلت له في ملل:

- هل أرسلك أحد الحيوانات؟

- لا لست منهم أنا رفيقك في الزنزانة.

فقلت مازحا:

–اه حسنا إذا مرحبا بي عندك.

- يبدو أن لك حس الفكاهة رغم كل ما مررت به.

-لا تقلق يا عم لن أنتهي بهذه السهولة، كما أنني لن أبقى هنا طويلا لذا لا تعتاد علي فتشتاق إلي، بالمناسبة أنت رأيت الحيوانات التي جاءت إلي في الساحة صحيح؟ أنا متأكد أنك كنت تراقبني.

نعم يتحكم في هذا السجن ثلاث عصابات وقد جاءتك دعوة للانضمام من ثلاثتهم، كم أنت محظوظ.

- عن أي حظ تتحدث يا عم؟ وأنا فقدت أسناني في أول يوم لي هنا.

- أنت محظوظ حقا لأنك فقدت أسنانك فقط وليس حياتك، فهذه أول مرة يتحدى أحدهم رجال الضبع ويبقى حيا.

- الضبع إذا، ولكن كيف يريد ضمي وقد ركلت رجاله قبل أيام فقط؟

- هنا أن تكسب صديقا قويا أفضل من أن تكسب عدو، لذا فهو يرى أن صداقتك أفضل من عدائك.

- حسنا فهمت، ومن هي العصابة المسيطرة هنا؟

-حاليا الثلاثة في هدنة وهم يقومون بزيادة عددهم والكل يحاول ضم الأقوى إلى صفه، لا أقصد القوة كقوتك، وإنما قوة من نوع آخر ستعرفها لاحقا، وفي الأيام القليلة

الماضية ضم التمساح إلى صفه شخصا قويا جدا وسيحاول الجميع النيل منه، لذا لا أعتقد أن الأمور ستبقى هادئة لوقت أطول.

ما الذي تثرثران به، هيا خذ منشفتك واذهب للاستحمام _قالها السجان في انفعال_ فأخذت منه لوازم الاستحمام واستأذنت من زميلي في الزنزانة، فقال أننا سنكمل حديثنا في المساء.

دخلت متأخرا إلى الحمام وكان أغلب المساجين قد انصرفوا بالفعل، أخذت حماما جيداً، نزعت عني كل الأوساخ والرائحة التي علقت بي في الانفرادي، وهممت بالخروج لكني انتبهت لحركة غريبة في الخارج فقد عم الصمت في المكان ولم أعد أسمع سوى خطوات تقترب مني بحذر.

علمت أنه قد حان وقت الشوط الثاني من العراك ألقيت نظرة خفية من فوق الباب فأبصرت حوالي سبعة أشخاص وكان أغلبهم يمسك بآلة حادة في يده، أنا في ورطة حقا، أرجو أن لا يتأخر السجانون في الوصول إلي قبل أن يتم تمزيقي، كان علي التفكير في حل سريع قبل أن يدخلوا إلي أي فكرة قد تمنحني الأفضلية، فجاءتني الفكرة بالفعل فعقلي لم يخيبني يوماً، وبدأت في التنفيذ من فوري، مزقت المنشفة إلى نصفين وربطت كل نصف في قدم وجعلته مثل الجورب، وملأت الدلو بالماء ووضعت فيه الصابون، عندما التقطت أنفاسي خرجت إليهم بسرعة مفاجأة لم يتوقعوها، وسكبت الدلو لينصب الماء تحت أرجلهم الحافية وهجمت على أقربهم مستغلا لحظة تشتتهم فوصلته لكمة مني حتى قبل أن يرى اتجاهها فسقط من

فوره، فتحرك بقية رفاقه لينقضوا علي، لكن الماء مع الصابون أتى مفعوله ففقدوا توازنهم لأتقدم أنا تثبتني المناشف في قدمي لأسقطهم واحدا تلوى الآخر من دون عناء، كانوا سبعة بالضبط سقطوا جميعا ولم يأت أي سجان، شعرت أنها فرصة جيدة لإرسال رسالتي إلى الجميع، فتفقدت الحشرات الساقطة أمامي لأتأكد من فقدانهم للوعي وقمت بتوجيه لكمات إضافية لمن وجدته واع، لينام كما يفعل رفاقه، والتقطت أحد الأدوات الحادة التي كانت معهم وهي عبارة عن شفرة حلاقة مربوطة مع فرشاة أسنان، مزقت قميص من كان يلبسه ثم كتبت في ظهورهم بواسطة الآلة الحادة رسالتي، كتبت على ظهر الجميع وكنت سأكتب على ظهر آخرهم لكن داهمني السجانون وحرموني من ذلك، تبا، أردت أن أكتب على ظهر الجميع من دون استثناء لكن للأسف، طبعا تم سحبي للانفرادي من فوري، أما رسالتي فقد بلغت كل المساجين وكل العصابات هنا "إنه دب وليس خروف".

دخلت إلى الانفرادي وقضيت هذه المرة أسبوعين كاملين، فهذا هو القانون هنا ففي كل مرة تدخل فيها إلى الانفرادي سيتم زيادة أسبوع آخر إلى فترة عقوبتك، خرجت بعدها كالعادة وتوجهت إلى الساحة حيث الجميع، في هذه المرة رأيت نظرات أخرى مختلفة عن سابقاتها، نعم أنا أصبحت لي هيبة في هذا المكان اللعين، جلست في زاويتي حيث جلست أول مرة حتى جاءني زميلي في الزنزانة والذي لم أشاركه إياها حتى اليوم وقال:

- مرحبا أيها" الدب" كيف حالك؟

- إذاً وصل الخبر يا عم...؟

-ناداني عصام ، ونعم الأيام المنصرمة كان كل الحديث عنك، وقد أطلقوا عليك لقب"الدب" كما كتبت على أجسادهم، كما أنك مسحت كرامة الضبع وقضيت على هيبته.

- همم إذن كانوا من جماعة الضبع، على كل حال سيصدمك التالي، أنا قررت الانضمام إلى عصابة التمساح

- ماذا! هل أنت متأكد؟ لم أكن أتوقع هذا، فلا يبدو عليك من النوع الذي قد يعمل لصالح أحد.

- نعم يا عم عصام هذا ما سأفعله حاليا، فأنا أحتاج إلى من يقاتل بدلا مني، أنا لن أقدر على البقاء في الانفرادي طوال فترة مكوثي هنا، كما أنك قلت أنه يوجد شخص قوي انضم مؤخرا إلى عصابة التمساح، وأنا أريده، نعم فهو سيكون مفتاح خروجي من هنا.

نهضت من مكاني وتوجهت نحو جماعة التمساح وكانت كل العيون تتابعني، وقف جميع أعضاء العصابة بعد أن تركوا ما كانوا يقومون به، وتقدم إلي أحدهم ضخم البنية مفتول العضلات وقال: هل أنت هنا من أجل الدعوة؟ فأجبت أن نعم، فطلب مني الانتظار قليلا حتى يدخل إلى الزعيم ويطلب إذنه لأدخل إليه، لحظات قليلة حتى خرج الضخم وطلب مني الدخول.

لم تكن غرفة كبيرة جدا ولكنها كانت مفروشة بأفخم الأفرشة وبها أفخم الأثاث، وكان مقابل الباب كرسي كبير مغلف بالجلد الأسود الفاخر يجلس عليه رجل تبدو من ملامحه الهيبة والقوة والبأس، كان أسمر البشرة حليق الرأس وذو لحية خفيفة مقصوصة بعناية وكان يقف على جانبيه أربعة أشخاص فارعي الطول، ويجلس قربه شاب

وسيم أشقر وتبدو من ملامحة الرفاهية والرخاء غير مناسب تماما للمكان الجالس فيه، قام الاثنان من مقامهما وتقدم الرجل ذو الهيبة إلي وقال:

- مرحبا بك بيننا أيها الدب، أنت اخترت المكان المناسب.

- إذن أنت التمساح؟

- نعم بشحمه ولحمه.

- يبدو أن من أطلق عليك لقب التمساح لم يخطئ، فهذا اللقب يبدو مناسب لك حقا، كذلك أنت يليق بك لقب الدب، فقد لفتّ إليك الأنظار بمجرد دخولك إلى جحيمنا هذا.

- حسنا إذن ما هي الأعمال التي سنقوم بها هنا؟

- واو رجل عملي حقا !تمهل يا أخي لا تجعلني أقع في حبك، يمكنك أن تتسكع رفقة رجالنا حاليا، وسيكون لك الحماية والراحة بيننا وسنتحدث عن الأعمال عندما يحين وقتها.

- حسنا فهمت أترككم إذاً، سوف أخرج للتسكع مع رفاقي الجدد.

وأنا خارج ناداني التمساح:

- أيها الدب سأطلعك على سر سيفرحك "لا انفرادي لرجال التمساح"

خرجت من الغرفة وقد أسعدني حقا سماع هذا السر فأنا لم أكن أريد العودة إلى تلك الحفرة القذرة مجددا، قام أعضاء العصابة الجالسين في الخارج وتقدموا إلي يصافحونني ويسلمون علي ويرحبون بي، ثم جلست معهم وكانوا يمارسون رياضة ليَ الذراع فشاركتهم، وبالطبع فزت في بعض النزالات، لكني خسرت في أغلبها فأنا لست متعودا عليها، كما أن أغلبهم مفتولي العضلات أكثر مني حتى، بعد استراحة المساء رجعنا إلى الحمام، ومنه إلى المطعم من أجل وجبة العشاء ثم إلى الزنزانة للنوم من أجل الاستيقاظ باكرا والذهاب إلى العمل، وكان هذا هو الروتين هنا، كانت تلك أول ليلة أنام فيها في زنزانتي وقد تسامرت الحديث مع العم عصام وأطلعني على كل الأبجديات هنا في السجن وحدثني عن العصابات وأماكن سيطرتهم ونفوذهم، والمناطق التي لا يجب أن أتواجد بها ولقد أدهشني حقا فقد كان داخل هذا السجن الضيق عالم واسع تمتد جذوره إلى خارج هذه الأسوار وإلى كل مكان، حتى أن العصابات هنا يديرون أعمال أكبر البارونات ويعقدون الصفقات معهم، العجب العجاب، لم أغص أعمق في الحديث مع العم عصام تلك الليلة فأنا لست مستعجلا فأمامي أيام طويلة هنا وسأعرف كل شيء يحدث، الظاهر منه والخفي.

في صباح اليوم التالي ذهبنا إلى العمل والمتمثل في تكسير الحجارة بمطرقة ثقيلة ثم حملها إلى العربات، تبا لهم بالإمكان القيام بهذا العمل بطريقة أسهل وأسرع بواسطة الماكنات والآلات، ولكنهم فضلوا تعذيبنا كل يوم بنفس الطريقة، لقد كان العمل شاقاً، ولكن جسدي سرعان

ما اعتاد عليه بمرور الأيام، بل واستغللت الموقف واعتبرته كتدريب لجسدي وعقلي لتزداد قوتي وتركيزي من أجل النجاة في هذا الجحيم.

بعد حوالي ثلاثة أسابيع من حادثة الحمام التي شوهت فيها أجساد أتباع الضبع، يبدو أن هذا الأخير لم يستطع كبح غيضه لمدة أطول، فأرسل أحد أتباعه إلى التمساح، كنت حينها أشارك مائدة الغداء مع التمساح وأشرف، لم أخبركم عن أشرف؟ إنه نفس الشاب الأشقر الذي وجدته عند التمساح في أول يوم انضممت فيه إلى العصابة، سأعرفكم به لاحقا، المهم ونحن جالسون حتى طرق الباب ودخل أحد رجالنا وقال مرسول من الضبع، فأذن له التمساح بالدخول.

دخل الرجل وتكلم من فوره وقال:

- يقول الضبع سيخرج الدب من مجموعتك وإلا سنعتدي عليه وهو فيكم وتنتهي الهدنة.

فأجابه التمساح:

- يجب أن تعلموا أن أي اعتداء على أي فرد من مجموعتي يعتبر اعتداء علي أنا شخصيا، وفيما يخص الهدنة فأنتم قد نقضتموها برسالتكم هذه وإنها الحرب إذن، خرج المرسول في عجالة إلى زعيمه، أما أنا فقد أعجبني رد التمساح وتأكدت أنني بالنسبة له أحد أهم العناصر في مجموعته، فأردت استغلال الموقف من أجل تعزيز ثقته بي أكثر، حتى تنجح بعدها خطتي للخروج من هنا، فباشرت بالكلام:

- دع أمر الضبع وكلابه لي، سأقوم بتربيتهم على طريقتي، أما أشرف فأنت أدرى بكيفية حمايته منهم هذه الأيام حتى يعلنوا انهزامهم وولاءهم لك، وهذا ما أعدك به.

- والله أيها الدب ما زلت تبهرني رغم صغر سنك، لك ما تريد وكن حذرا والأفضل أن لا تتحرك إلى أي مكان من دون حماية، فخذ معك دائما أربعة من رجالنا على الأقل إلى كل مكان تذهب إليه.

- لا تقلق لن يصلوا إلي، أنت فقط ابق هنا وراقب الأحداث بهدوء.

كل ما كان علي فعله هو التفكير في خطة لبث الرعب في نفوسهم من دون أن أتعرض للأذى، وكالعادة جاءني عقلي بفكرة جيدة وهي ترعيبهم في زنازينهم، كيف؟ إليكم الخطة:

أول شيء يجب فعله هو منع باب زنزانتي من الانغلاق وأنا في داخلها، لأتمكن من الخروج في أي وقت أريد، لذا ذهبت إلى العم عصام والذي على عكسنا لا يعمل في تحطيم الصخور، وإنما يبقى للتنظيف في مختلف أرجاء السجن، وطلبت منه أن يحضر لي مغناطيسا ومفك براغي وبالفعل قد وفرهما لي في اليوم التالي، ليست الأقفال هنا سخيفة ليتم فتحها بسلك أو سكين كما يحدث في الأفلام لذا كان علي تطبيق هذه الفكرة، بحيث كان علي تعطيل القفل في المساء قبل أن يأتي السجان لغلقه، كل ما كان علي فعله هو نزع قطعة معدنية صغيرة من داخل القفل، وقد أخذت مني ساعة كاملة من الوقت، والآن أصبح القفل من دون معنى حتى لو أدار السجان المفتاح بداخله فلن تخرج أي أضراس للقفل، وذلك حتى من دون أن يشعر السجان، لأن الأمر سيبدو عاديا، لكن ستبقى المشكلة

عندما ينزع السجان مفتاحه ويدفع الباب للتأكد من أنه مغلوق كما يفعل دائما، هنا يأتي دور المغناطيس، فقد وضعته على إطار الباب الفولاذي مقابلا تماما للقفل ووضعت مفك البراغي بعد أن نزعت عنه قبضته الخشبية داخل القفل مكان أحد الأضراس التي نزعتها وذلك بعد أن لفقته ببعض الورق ليتناسب حجمة مع حجم الضرس، عندما انتهيت جربت ماكينتي وإذا بها تعمل بالفعل، يتم القفل آليا عندما يلتقي الباب مع إطاره وكل ما علي فعله لفتحه هو نزع المغناطيس من الإطار ووضعه في مؤخرة القفل ليعود مفك البراغي إلى الداخل، بعدها خرجت من أجل وجبة العشاء كالعادة ثم عدت إلى زنزانتي أنتظر السجان أن يأتي ليغلق الباب آملا أن لا ينتبه لخدعتي، وجاء السجان ليقفل الباب وفعل...

وبالفعل انطلت عليه حيلتي وسط دهشة العم عصام الذي كاد قلبه يتوقف من الخوف.

- لقد نجحت أيها الدب! أنا لا أصدق!

- حسنا يا عم عصام الآن أريدك أن تدون لي أرقام زنازين أتباع الضبع فأنا متأكد أنك تعرفها.

- حسنا لك هذا.

بعد منتصف الليل بساعتين وهو الوقت الذي يتم فيه تبديل الحراسة، فتحت باب زنزانتي وتسللت إلى غرفة المراقبة الموجودة في نهاية الرواق لأجد الحارس الذي بدأ المناوبة للتو جالسا على كرسي خشبي يقاوم نعاسه فأهديته ضربه على مؤخرة رأسه ليغط في نوم عميق وأخذت المفاتيح وأوقفت تسجيل كاميرات المراقبة

وحذفت جزء التسجيل من لحظة خروجي من زنزانتي حتى دخولي إلى غرفة المراقبة ثم ذهبت لزيارة بعض الجيران...

بعد ساعتين وخمسة وأربعين دقيقة بالضبط وقبل ربع ساعة من تبديل مناوبة الحراسة مجدداً، انتهت الزيارة وعدت أدراجي إلى غرفة المراقبة أرجعت المفاتيح وأعدت تشغيل الكاميرات وقد كان الحارس لا يزال نائما بسلام، وعدت إلى زنزانتي وأغلقت الباب وتمددت في فراشي وأنا راضٍ تماما على إنجازي، كان العم عصام لا يزال مستيقظا ينتظر خبرا مني، فطلبت منه أن يتركني أرتاح قليلا وسيعرف كل شيء بعد قليل، وبالفعل بعد ما يقارب ساعة بدأ الصراخ في كل مكان ليستيقظ كل المساجين في فزع، وعم الهرج والفوضى وتجمع كل السجانين ليروا ما الأمر، إنه صراخ سبعة عشر سجينا كانوا فاقدين للوعي وقد استيقظوا للتو ليجدوا أنه قد كسرت سيقانهم جميعا، وكتب عليها بآلة حادة "الدب"، أنا مولع بترك بصمتي على ضحاياي.

سبعة عشرة ضحية للدب في ليلة واحدة!

لطالما اندلعت الحروب داخل السجون، ولكن ما حدث اليوم هو سابقة لم يشهد لها مثيل، كيف لرجل واحد أن يخرج من زنزانته الموصدة وفي ظرف وجيز يفعل كل هذا ومن دون أي فوضى؟ وحتى من دون أن يصدر الضحايا أي صوت بعد كسر سيقانهم مباشرة؟ حسنا السر في جعل الضحايا هادئين وأنا أكسر سيقانهم هو نقطة تقع أسفل الرقبة من الجهة اليمنى، إذا ما ضغطت عليها بالقوة المناسبة سيفقد الضحية الوعي لبعض الوقت ويتخدر جسده ولن يشعر بأي شيء.

تم نقل الضحايا إلى المشفى ليخسر بهذا الضبع أغلب جيشه، فهذه الحادثة إنما هي إعلان لبداية انهيار إمبراطوريته، وفي نفس الوقت إعلان على هيمنة إمبراطورية التمساح ابتداءاً من هذا اليوم.

بعدما هدأت الأوضاع، أخذونا إلى مقلع الحجارة كالعادة بعد تأخر ساعة واحدة، وتركت خلفي العم عصام ليعيد تركيب أجزاء القفل كما كانت عليه، لأنه ستبدأ التحقيقات من زنزانتي من دون شك، فالجميع يعلم أنني الفاعل لكن لا أحد يملك دليلا يدينني، هذه قاعدتي لا أترك خلفي خيطا يقود إلي.

في المساء عدنا إلى مقرنا فاستقبلني التمساح استقبالاً لائقا ونظم وليمة صغيرة متواضعة خاصة بأفراد عصابتنا، وقام بإعلان ترقيتي أمام الجميع، لقد أصبحت الرقم ثلاثة في العصابة، إنه رقم يعني أنني أصبحت ظل أشرف، في حين ظل التمساح هو الرقم اثنان.

أن تكون ظلا يعني أنك ستكون أكثر من مجرد حارس شخصي لسيدك، ستتحرك أينما يتحرك، تأكل معه وتشرب معه، تنام معه وتستقبل زواره معه، تمارس الرياضة معه وتجلس معه، لا مجال للانفصال عنه أبداً، قد يبدو الأمر مملا ومضجراً، ولكن هذا كان هدفي من البداية الوصول إلى أشرف.

من هو أشرف؟ إنه أشرف آل مختار ابن جبران الملقب بالسفاح، أحد أكبر رجال الأعمال في البلد، يملك العديد من الشركات في عديد المجالات كالحبوب والأزياء وقطع الغيار...، لكن ليس الهدف من الشركات تجارة هذه المواد فقط، وإنما تستخدم هذا الوجه البريء لتسهيل عملها

الرئيسي القذر والمتمثل في تجارة الأسلحة والمخدرات والآثار والمعادن وغيرها... هذا ما جعل السفاح يتربع على عرش البارونات ويسيطر على كامل أسواق الممنوعات في البلد، فلا صفقة تُعقد إلا برضاه ولا شُحنة تمر إلا بتأشيرته، لذا فأشرف هذا هو تأشيرتي للخروج من هنا.

بدأت العمل من فوري كظل أشرف وبهذا انتقلت من زنزانتي إلى غرفته، نعم إنه ينام في غرفة محترمة وليس زنزانة كالبقية، حتى أني لم أعد أذهب الى مقلع الحجارة فأشرف لا يفعل، كل ما كان علي فعله هو البقاء بجانبه وحمايته من أي مكروه.

لقد حاول الضبع في عديد من المرات أن يصل إلي أو إلى أشرف لكني أحبطت كل محاولاته اليائسة، وزدته خسارة فوق خسارة، حتى أعلن استسلامه.

كنت أذهب مع أشرف إلى مكتب تعقد فيه الصفقات، وقد كنت أبدي رأيي واقتراحاتي من وقت لآخر، والتي عُمل بها كانت كلها صائبة.

أيضا كنت أرافقه إلى قاعة الزيارات عندما تأتي عائلته لزيارته فتعرفت على السيدة خديجة والدته وأخته شيماء، وكانتا الوحيدتان من عائلته اللتان تزورانه من حين لآخر، أما والده فلم يأت ولا مرة، واكتفى بالاتصال هاتفيا، وكان نادرا ما يفعل، بعد قضاء أشرف ستة أشهر كاملة وقد كان دخل قبلي للسجن ببضعة أيام، حان الوقت لخروجه والتحاقه بأعمال والده، طبعا دخولهم وخروجهم من السجن بسبب قضايا بسيطة لا يعتبر مشكلة، فهم يدخلون لبضعة أشهر حتى تهدأ الأوضاع ثم يقومون بالمرافعة ويجدون شخصا ما يتبنى القضية ويعترف بأنه الفاعل، فيدخل هو إلى

السجن بدل المعني، وقد علمت أن هذه هي طريقة كبار الشخصيات هنا، حتى أنهم ربما يدخلون السجن لبعض الوقت من أجل تنظيم عصاباتهم في الداخل وعقد بعض الصفقات المهمة.

ودعني أشرف قبل مغادرته وشكرني على كل شيء ووعدني بأنه سيتحدث مع السفاح من أجل إخراجي فور التقائه به ، وهو الذي لا يرد له طلب، إنه عالم غريب أليس كذلك؟

بعد أسبوعين كنت ألعب كرة السلة مع جماعتي، حتى جاءني أحد السجانين وقال أنه يوجد من يتصل بي على الهاتف، فذهبت بسرعة وأمسكت الهاتف:

-نعم أنا الدب من معي؟ فتكلم بصوت مشوش واضح أنه يتعمد إخفائه:

- أنا السفاح، لقد أخبرني عنك أشرف وأخبرني عن كل ما فعلته هناك، وكيف أنقذت حياته في عديد المرات، لذا سأقدم لك ما تستحقه لاحقا، أما الآن فسأدخل إلى صلب الموضوع، سأخرجك من هناك بهوية شخص آخر مقابل أن تعمل لصالحي مدة خمسة سنوات، ولك حرية البقاء أكثر إن أردت، هذا ما لدي أريد إجابة بنعم أو لا من دون نقاش.

- نعم.

- حسنا ستخرج الأسبوع القادم، وستجد أحد رجالي في الخارج ليصطحبك، أقفل الخط معلنا عن نهاية أهم صفقة عقدتها مع أحدهم طوال حياتي، خمسة سنوات؟ لا بأس خمسة سنوات في الخارج، أفضل من عشرين سنة في هذه القذارة كما أنه في الخارج يمكنني البحث على طريقة لإثبات براءتي...

وبالفعل بعد أسبوع وكان يوافق التاسع من شهر أوت سنة ألفين واثني عشر وبعد قضائي لستة أشهر في هذا الجحيم جاءت تذكرة خروجي، لقد خرجت بطريقة مختلفة نوعا ما عن أشرف، فقد جاءني زائر قال: مرحبا أنا آسر قريشي، وأنت خالد شريف أليس كذلك؟ فهمت قصده وهززت رأسي بالإيجاب من دون أن أتفوه بكلمة، بعدها قدّم لي محفظة تحتوي على وثائق كلها باسم خالد شريف وتحمل صورتي الشخصية! ثم قال انتهى وقت الزيارة غادر الآن.

وفعلت تحت أنظار الحراس الذين تظاهروا بأن كل شيء عادي ولم يحدث أي تغيير! يبدو بأنهم تلقوا أوامرا من مدير السجن الفاسد، لم أهتم وخرجت بهويتي الجديدة باسم خالد شريف، وجدت في الخارج رجلا أنيقا يلبس بدلة سوداء واقفا أمام سيارة مرسيدس فاخرة واضح أنه ينتظرني، فتوجهت إليه وركبت السيارة، وبهذا تم خروجي من السجن.

بعد رحلة دامت ستة ساعات وصلنا أخيرا إلى محطتنا وقد كان شارعا راقٍ في قلب مدينة عنابة، توقفنا بجانب منزل ضخم إن لم أقل قصر، وجدت أشرف وبعض من رجاله عند الباب لاستقبالي، شعرت بالسعادة لأنني أعرف أشرف قبل هذا وإلا كنت شعرت بالوحدة، لم نتحدث طويلا وحتى أني اعتذرت عن الدخول إلى قصرهم، فقد شعرت بالإحراج من الدخول إلى هذا المكان الراقي بحالتي المزرية هذه، شعر أشعث أغبر ولحية مجعدة وملابس قديمة، تحججت بأنني متعب وأحتاج إلى الراحة اليوم، وفي الصباح سآتي لنتكلم، فوافق أشرف، ووضع بعض المال في جيبي

وقال بأنني سأحتاجه لشراء بعض الملابس النظيفة، ثم طلب من السائق أن يوصلني إلى الفندق الخاص بهم وقد كان كل النازلين فيه هم من رجال السفاح، وكان يقع على بعد شارع واحد من القصر، وصلت إلى الفندق ودخلت إلى غرفتي أو بالأحرى إلى شقتي، فقد كان المكان واسعا جدا سرير هناك في الزاوية وأريكة كبيرة متمركزة في الوسط يقابلها تلفاز كبير وعلى اليمين نافذة زجاجية امتدت على امتداد الحائط مانحةً أروع منظر لأروع إطلالة، والأهم كان فيها أيضا حمام زجاجي جميل توجهت إليه مباشرة، استحممت وخرجت من فوري من أجل الحلاقة واقتناء بعض الملابس المناسبة للجو الذي سأعيش فيه.

في الصباح لبست بدلتي الجديدة وعدّلت نفسي، ثم توجهت إلى أشرف الذي أرسل في طلبي قبل دقائق، دخلت أول باب لأجد نفسي في حديقة شاسعة في مركزها مسبح بيضوي الشكل مبني بشكل جميل، كما تتوفر على أشجار صغيرة جميلة وأنواع مختلفة من الأزهار والنباتات الغريبة، رافقني أحد الحراس وقادني حيث يجلس أشرف في الجزء الخلفي من الحديقة وكان يتناول فطور الصباح مع أمه خديجة وأخته شيماء، واثنين من الخدم واقفين قريباً منهم أبصرني أشرف فنادى علي، توجهت إليه فوقفوا ليرحبوا بي فقد كانوا يعرفونني من قبل، قالت شيماء في مرح:

- واو أيها الدب تبدو وسيماً جداً هذه المرة، لم أنتبه لوسامتك داخل السجن، ابتسمت لها وقلت:

- حتى أنا لم أنتبه لجمالك أثناء زياراتك هناك، فقد كنت تأتي دائماً شاحبة الوجه وكأن أمك جلبتك جراً. ضحكنا جميعاً ثم جلسنا لتناول الفطور معاً، تحدثنا قليلا ثم اعتذر

أشرف ونهض، فنهضت أنا بعده، طلب مني أن أتبعه ففعلت، دخلنا إلى الفيلا، لن أصفها لكم ففيها كل ما تسعه مخيلتكم وما لا تسعه، صعدنا إلى الطابق الأول ودخلنا إلى أول غرفة على اليمين، ليست غرفة وإنما مكتب عمل، جلس وطلب مني الجلوس، ثم قال:

- الآن سنتحدث عن العمل، أنت تعرف طبيعة الأعمال التي نقوم بها فقد كنت معي أثناء إجراء الاتصالات وعقد الصفقات في الداخل.

- نعم يا أشرف أنا أعرف كل شيء، لكن فهمت من كلامك أنني لن أكون ظلك هنا؟

للأسف لا، فلست أنا من يحدد عملك هنا وإنما والدي، واعلم بأنه لن يعاملك معاملة خاصة بمجرد أنك صديقي أو أحد معارفي، فأغلب رجالنا هم من الأقارب وأبناء الأصدقاء أيضا، لذا إن كنت تريد أن تحصل على منصب جيد هنا، فعليك أن تثبت جدارتك وترتقي بجهدك الخاص، لقد حدد أبي عملك الجديد بالفعل لا أعلم ما هو ولكني واثق بأنك ستقوم به على أكمل وجه، والآن قبل أن تنصرف إليك هذا الظرف إنه من والدي، لا أعلم ما فيه ولكن واضح أنه سيكون حول وظيفتك الجديدة.

-حسنا أشرف لقد فهمت شكرا لك، سأغادر الآن وسنلتقي لاحقا.

خرجت من القصر وعدت إلى شقتي مستعجلا من أجل فتح الظرف ورؤية ما فيه.. وجدت فيه رسالة وهاتفا ومفتاح سيارة !وضعت الهاتف والمفتاح جانبا وفتحت الرسالة:

- مرحبا بك بيننا أيها الدب، أنا أعرف كل شيء عنك وهذا سبب وجودك هنا، فما أعلمه عنك يجعل منك شخصا موثوقا يمكن الاعتماد عليه، لذا اخترت لك مهمة تناسبك، ستكون سائقا شخصيا لشيماء، ستبدأ السنة الدراسية بعد أيام قليلة، أي أن تحركاتها ستزيد كثيرا، مما يزيد من الخطر فأعدائي كثيرون، إنها مزعجة جدا ودائما ما تتذمر من كثرة الحراس حولها وتحاول التملص منهم، لذا أريدك أن تكون ظلها وحدك بدل مجموعة من الحراس وهذا تلبية لطلبها، أنت كنت ظلا لأشرف من قبل وأتقنت المهمة، والآن ستكون ظلا لشيماء، ستكون معها في كل مكان تذهب إليه: في الجامعة، في النادي، في الحفلات، في السوق ...في كل مكان ما عدا البيت، فمهمتك تبدأ بعد خروجها من باب البيت وتنتهي عند دخولها منه، ما عدا هذا فأنت حر في اختيار طريقة ووسائل حمايتها في الخارج، وبقائها في أمان، لكن اعلم أنه إذا لُمست شعرت واحدة منها فأنت ميت.

وفي الأخير أنا لم أنس الدين الذي علي لأنك أنقذت حياة أشرف، لذا اختر أي شيء تريده وأكتبه في ورقة واتركها عند نادل الفندق، توقيع "السفاح".

أغلقت الرسالة وجلست أفكر، سائق إذن؟ حسنا هذا أفضل، فأنا توقعت الأسوأ، فأن أكون سائقا أفضل من تاجر مخدرات، حسنا ما يهم الآن هو ما ذكره في آخر الرسالة، أي شيء أريده؟ أنا بالفعل أريد شيئا مهما لا يستطيع فعله إلا شخص ذو نفوذ وتمتد جذوره إلى كل مكان، أمسكت ورقة وقلما وقد اشتعلت من الحماس وكتبت على الورقة و أنا

أرتجف" أريد أن تبحث لي عن مكان تواجد نورين قطر الندى".

***

رجعت أنا وأخي عماد إلى المنزل بعد يوم شاق ومهول بعد كل ما رأيناه، ورغم كل الإرهاق الذي كنت فيه، إلاّ أني لم أنج من الأسئلة الاستخباراتية لأخي عماد والذي أجبرني على البوح له بكل ما في جعبتي، فالخدعة التي أخبرته بها من قبل لم تعد تجدي بعدما رأى ما رآه، لم يكن إخباره بالحقيقة بكل تلك الخطورة فأنا أعرف أخي جيدا وهو يعي ما يعنيه السر.

بعد الحادثة أصبحت أتصل بندى بشكل روتيني مرتين في اليوم، فهي كانت لا تزال تحت تأثير الصدمة بعد كل ما حدث، كما أنه بعد يومين رافقت عائلتي لزيارة أمين في المستشفى بحكم أنه جارنا، أنا لم أدخل إلى داخل غرفته واكتفيت بالنظر من خلال زجاج النافذة، لقد كان محنطا من رأسه حتى أخمص قدميه، وكل ما يظهر منه هو عيناه اللتان كانتا تجولان هنا وهناك بين وجوه زائريه، وقد وضعوا له فتحة صغيرة في الضمادات الموجودة على فمه ليمرروا عبرها أنبوبا إلى حلقه، يبدو أنه وضع من أجل تزويده بالماء آه يا آسر أنت لم تترك نقطة في جسد هذا اللعين إلا وكويتها، لقد أشفيت غليلك وغليلنا فعلا.

بعدما بدا أن الأوضاع قد هدأت أخيرا، جاء خبر غير متوقع في الفاتح من ديسمبر ألفين وأحد عشر، خبر لم نكن نتوقعه، خبر سيقلب الدنيا رأسا على عقب (توفي أمين جابر متأثراً بجراحه) ماذا؟ كيف؟ لا يمكن هذا!

لقد نزل الخبر علينا كالصاعقة، لكن هناك ما يدعو للريبة، أنا وأخي عماد رأينا جسد أمين قبل نقله إلى المستشفى وكلانا متأكد أنه لم يكن في جسده أي جرح

خطير إلى تلك الدرجة حتى يودي بحياته، فكل الجراح هي عبارة عن حروق أصابت الطبقة السطحية من جلده.

لم أعرف مذا أفعل، أصبحت أمشي هنا وهناك في أرجاء غرفتي من دون عقل أحاول تهدئة نفسي، يجب أن أتصل بآسر، لا أعلم لما لكن يجب أن أتحدث معه، أخرجت هاتفي واتصلت، لكنه لا يجيب اتصلت مرارا لكن من دون جدوى، فحملت نفسي وذهبت إلى ندى علّها تجد لي حلا للوصول إلى آسر، لكن هيهات فقد وجدت الفتاة قد فقدت عقلها تماما، ولا تدري من هي ولا ما تفعله فاضطررت لتهدئتها واستغرقت وقتا طويلا حتى فعلت، ندى اتصلي بآسر أريد أن أتحدث معه.

- لكنه لا يجيب على اتصالاتي يا ياسمين لا يجيب.

- ما العمل يجب أن نصل إليه.

-أنا أعرف منزله، فلقد رأيته من قبل.

- حقا! هلمي بنا يجب أن نذهب إليه الآن.

- لا أستطيع فأبي يمنعني من الخروج بعد غياباتي المتكررة مؤخراً، فلم يكن إقناعه سهلا كما حدث مع أمي.

- همم حسناً صفي لي مكان منزله وسأذهب إليه وحدي.

- حسنا بعد وصولك إلى محطة الحسينية توجهي...

بعدما وصفت لي مكان المنزل انطلقت من فوري من دون أن أضيّع الوقت، وبعد أربعين دقيقة كنت واقفة أمام باب منزله، ضغطت على جرس الباب وانتظرت قليلا حتى فُتح الباب، لقد كاد قلبي يقفز من صدري من شدت الخوف والخجل، كانت أخته الكبرى من فتحت الباب، بدت

علامات الاستغراب على وجهها فهي لم ترن ولا تعرفني لا من قريب ولا من بعيد، لذا بادرت أنا بالكلام:

- السلام عليكم أنت مريم صحيح؟

-نعم! آه أعتذر تفضلي بالدخول فيبدو أنك لم تخطئي العنوان.

دخلت معها إلى الداخل وقادتني إلى غرفة الجلوس، وكان فيها طفل صغير جميل جداً وكأنه ملاك، شعرت برغبة كبيرة في عضه، فقلت لها هذا ابنك وسيم صحيح؟ فأجابت باستغراب: وتعرفين هذا أيضاً !

- نعم في الحقيقة أنا أعرف كل التفاصيل هنا.

- ما شاء الله هل يمكن أن تعرفيني على نفسك؟

- آه نعم آسفة، أنا ياسمين صديقة آسر.

- آه حسنا مرحبا بك عزيزتي، إذن انتظري هنا سأنادي آسر...

وأنا أنتظر آسر حتى دخلت عندي السيدة زهرة أم آسر لقد كانت سيدة لطيفة جدا شعرت أنها تعرفني منذ زمن ولم تحسسني بأني شخص غريب هنا، لم تقدم أي سؤال غير سؤالي عن حالتي وحال عائلتي، وأثناء هذا دخل آسر رحب بي وقال أنه لم يتوقع زيارتي، في الحقيقة لم أكن مركزة على كلامه بل على تفاصيل وجهه وملامحه، لقد كان عادياً جداً ولم يكن ليشك أحد أن هذا هو آسر الذي يعيش أحد أعظم المشاكل التي يواجهها البشر، آه يا آسر هل قلبك بارد إلى هذه الدرجة؟ أم أنت لا تملك واحداً أصلا، أو ربما أنك مجرد ممثل بارع؟ فوالله لو كان كذلك فأنت تستحق الأوسكار، اعتذرت السيدة زهرة وخرجت من الغرفة لتتركنا نتحدث براحتنا، نظرت إلى آسر مطولا

ولازلت حائرة كيف أفتح الموضوع معه، فتكلم هو وكأنه علم ما في قلبي:

- ياسمين سأوصلك بالسيارة تأخر الوقت وربما تجدين مشكلة في محطة الحافلات.

فهمت أنه لا يريد فتح الموضوع في المنزل فهززت رأسي برمز الموافقة، حملت حقيبتي وقلت له هيا بنا إذن، ونحن خارجين من غرفة الجلوس دخلت مريم وبيدها صينية عليها العصير والقهوة، فقالت في تعجب إلى أين بهذه السرعة، على الأقل ابقي لشرب القهوة، فأجابها آسر: أن لا داعي للقهوة الآن فهي لا تحبها أصلا، بدا أنها تفهم أخاها جيدا لذا لم تضف أي كلام غير أنها شكرتني على الزيارة وطلبت مني أن أزورهم مجدداً في وقت أبكر.

خرجنا من البيت وركبنا السيارة وانطلقنا، مضت لحظات ولم يتكلم أي منا، كان يبدو منشغلا مع قيادة السيارة والغناء بصوته البشع وكأنني غير موجودة، وأنا أنظر إليه والحيرة بادية على وجهي وعشرات التساؤلات تدور في رأسي، كيف تكون بهذا الهدوء في وسط كل هذه الفوضى، وأنا غارقة في تفكيري حتى تحدث بصوته اللامبالي:

- تكلمي فيبدو أنك ستنفجرين إن لم تفعلي.

- نعم ستجعلني أنفجر، هل سمعت الخبر؟

-أي واحد؟

-اه لا تجنني... المتعلق بأمين طبعا.

- طبعا فالجميع سمع.

- إذن كيف تحافظ على هدوئك رغم هذا؟

- لست هادئا فحسب وإنما سعيدا أيضا، فقد مات من أردت موته من دون أن ألطخ يدي.

- لكنهم يقولون أنه مات متأثرا بجراحه، وأنت من تسبب في تلك الجراح يا آسر.

– ياسمين لا تتظاهري بالغباء فأنا وأنت نعلم جيداً أن مثل تلك الجراح لن تتسبب في قتل أحد.

- لكن الشرطة تبحث عن مسبب الجراح يا آسر أخشى أن يصلوا إليك.

- حتى ولو وصلوا فأنا لم أقتله، ما يهم هو أنني بريء وسأثبت براءتي لذلك لا تشغلي بالك واهدئي.

لقد هدأت فعلا بعد سماع كلامه يبدو أنه يضع حسابا لكل شيء بل متأكدة أنه درس كل الاحتمالات، من الجيد أنني أتيت إليه... آه صحيح:

- لماذا لم تجب على اتصالاتي؟

-لقد قلت قبل قليل أن الشرطة تبحث عن مُسبب الجروح لأمين، وهذا الأخير تم اختطافه من جانب منزله ومنزله يقع في نفس عمارتك، واضح جداً أن اتصالات الجيران ستكون تحت المراقبة.

إنه حقا يفكر إلى أبعد الحدود وليس غبيا مثلي، أفكر فقط عند أنفي.

- حسنا آسر لقد فهمت، لكن كيف سنتصل بك إن حدث طارئ؟

-بسيطة تتصلين من الهاتف العمومي، وبالمناسبة لقد اشتريت شريحة جديدة لذا دوني الرقم الجديد وسيكون الرقم الوحيد الذي تتصلين به إذا أردتني، وصلنا إلى حدود منطقة سكني فطلب مني النزول والإكمال مشياً، ففعلت

بعد أن ودعته، مشيت بضع خطوات حتى سمعته يناديني التفت إليه فقال (شكرا لك على كل شيء) ثم استدار بسيارته وغادر، كم كان هذا لطيفا منه، مضت بضع أيام وبدا أن كل شيء يعود إلى طبيعته، إلى أن تلقيت اتصالا من أحد المعارف، علمت منه أن ندى في حالة سيئة وهي في المستشفى الآن، توجهت من فوري إلى المستشفى وصلت فوجدت حياة تنتظر عند باب الغرفة التي تتواجد فيها ندى، سألتها عنها هل هي بخير، فهزت برأسها نافية ، ثم أضافت :

-كنت تعلمين بالأمر أليس كذلك؟ لما كتمت عنّا... لما؟

- إذن علمتم بالأمر؟

- وهل هذا أمر يمكن إخفاؤه؟ وإن كنت تتساءلين كيفية وصول الخبر إلي فقد علمته من أبي، وهو من أرسل ندى إلى هنا بعدما كسر عظامها وكسر قلبها وروحها بتبرئه منها! يا الله! أمسكت رأسي الذي كاد ينفجر وهويت على ركبتي مصعوقة.

- لماذا يا ياسمين؟ لماذا؟ على الأقل كنت لتخبريني أنا.

لم أجد كلمات أجيب بها حياة بل ولم يبق لي عقل لأفكر به في إجابة، ولا لسان قادر على التحرك ليجيب.

كيف علم العم حسين بهذا السر؟ أنا لا أملك الإجابة، ستخبركم ندى إن استطاعت التكلم في الموضوع، أما أنا فسأخبركم بما حدث بعدما خرجت ندى من المستشفى المسكينة تغير لون بشرتها أصبحت شاحبة، وفقدت الكثير من الوزن، تغيرت كثيراً بعدما حدث، تغيرت للأسوأ، بعد خروجها من المستشفى أخذتها حياة معها للبيت إنها الوحيدة التي اختارت أن تخسر العم حسين من أجل أختها، فالعم حسين صرّح أن" :كل من يستقبلها عنده فلينسى أني موجود في حياته"، كان الأمر ليكون مختلفا بالنسبة لنا فأمي هي خالة ندى، ولكن العم حسين منعها أيضا بل وهددها بالطلاق من أختها إن فعلت، لم يكن عند ندى غير أختها لتلجأ إليها ولكن يبدو أن هذه الأخيرة لن تستطيع حماية أختها لوقت طويل، فزوجها وليد لم يعجبه تواجد ندى عنده في البيت، فقد كان يرى بأنها شوهت صورة العائلة بل وحتى شوهت صورة زوجته، لم يتحمل طويلا فبعد بضعة أسابيع كانت حياة في العمل وعندما عادت إلى البيت لم تجد ندى، أين ندى؟ لقد طردها وليد من بيته من دون رحمة، لقد طردها إلى الشارع حيث الذئاب، حيث لا يوجد دفء ولا حماية، صُعقت حياة من ما فعله وليد بأختها، فخرجت من فورها تبحث عن ندى، بحثت في كل مكان وفي كل منزل تعرفه ولا تعرفه ساعدناها في البحث لكن من دون جدوى بحثنا لأيام وليال لكن لا أثر لها، حتى فقدنا الأمل في إيجادها.

بعد أيام من البحث وبعد الحزن والبكاء والغيض اجتاحتني نوبة من الغضب، غضب شديد اتجاه أحدهم إنه العم حسين!

حملت نفسي وانطلقت إليه، إلى منزله، دخلت فوجدتهم جالسين في باحة البيت، كانت عندهم الجدة سعاد أم العم حسين ويبدو بأنها أتت إليه لتوبيخه ومحاولة إعادة عقله إلى رأسه ويبدو بأنها نجحت، فقد وجدته يبكي مثل طفل صغير فقد لعبته، لكن هذا لم ينقذه من غضبي فقد كان يجب أن أفرغ ما في قلبي أيضا، وفعلت، ثم أردت أن أسأله عن القصة التي سمعها حتى فعل بابنته ما فعل ، لكني اخترت أن أحكي له القصة الحقيقة بدل أن أسمع المزيفة منه، بدأت أحكي لهم وقد توقفوا عن البكاء لتكسوهم الحيرة والدهشة والأسى، أخبرتهم عن كيفية استدراج ندى إلى عمارتنا وعن كيفية تعذيبها وحرقها وتمزيق ملابسها حكيت لهم كيف تمنت الموت عند تلطيخ شرفها وشرف عائلتها، أخبرتهم عن كل شيء بالتفصيل حتى عن آسر، نعم أخبرتهم عن آسر الذي لا تربطه أي صلة دم بها، كيف قطع مئات الكيلومترات في ليلة سماعه الخبر ليصل في الصباح إلى هنا، أخبرتهم كيف اختار أن يبطش بالجاني من أجل من يحب، وليس العكس مثلما فعل والدها، هنا تغيرت النظرات هنا وقف الجميع، ماذا تقولين، نعم القضية التي يتحدث عنها الجميع هذه الأيام ليست مجرد قضية عراك تافه بين شابين، بل هي قضية حرب شنها آسر على عديم الشرف الذي اغتصب ابنتكم، آسر الآن تتم محاكمته لجريمة قتل المدعو أمين جابر الذي سلبنا ندى، وأنتم ماذا فعلتم؟

اكتفيت بهذا القدر وخرجت لأتركهم غارقين في دموعهم وحيرتهم.

عشرين سنة، هذه العقوبة التي تم إصدارها على المتهم آسر قريشي البالغ من العمر اثنان وعشرين سنة هذا يعني أنه سيخرج وقد تجاوز الأربعين بسنتين بمعنى آخر إنه سيقضي أهم مرحلة في حياته داخل السجن، وباختصار لقد ضاعت حياته. ...بعد ما يقارب الشهرين وكنا قد يئسنا من إيجاد ندى اتصل بي العم حسين وقال أنه سيزور آسر في السجن رفقة خالتي، إن كنت أريد مرافقتهما فوافقت.

عند وصولنا انتظرنا قليلا حتى حلول وقت الزيارات، كانت قاعة شبيهة نوعا ما بمطعم فقد كانت تحتوي على الكثير من الطاولات تحيط بها الكراسي، جاءنا أحد الضباط فطلبنا اسم آسر قريشي، فاعتذر وقال أن هذا السجين يرفض كل الزيارات ولا يستقبل أحدا، فقلت له نحن من عائلته وهو سيأتي من أجلنا، فأجابنا الضابط أنه يرفض حتى زيارة أمه له!

لا أعلم ما الذي حمّل آسر على فعل هذا، لكن مازال يجب أن نرى آسر، فقلت للضابط إذن اذهب وقل له يزورك أشخاص يقولون أنه يوجد أمر مهم متعلق بندى، فطلب منا الانتظار.

دقائق وإذا به يعود ومعه آسر، انهارت خالتي خولة بالبكاء بمجرد رؤيته، فأسرع إليها يساعدها على الجلوس ويمسح دموعها بكفه ثم سلم علينا وجلسنا جميعاً، فبادر بالسؤال ما الأمر الهام المتعلق بندى؟ نظرنا جميعنا إلى بعضنا البعض وكأنه كل واحد فينا يترجى الآخر أن يخبره بدلا منه، استجمعت قوتي وشجاعتي ثم بادرت أنا، وأخبرته بأننا فقدنا ندى، لقد اختفت.

عم الصمت لحظات ثم نطق آسر: كيف؟ وأخذ يكررها كيف؟ كيف؟ كيف؟ حتى أجابه العم حسين هذه المرة وأخبره بكل ما فعله بها .

دوى صوت لكمة عنيفة على الطاولة وكأنها سيارة دخلت في جدار، كان ذلك آسر وهو ينهض منتفضاً والشرر يتطاير من عينيه، شعرت بأنه سيفتك بالعم حسين وارتعبت وتجمدت في مكاني، لقد رأيت غضب آسر من قبل لكن هذه المرة كان مستوى آخر، لقد كان هذا وحشا من عالم آخر لم أعرفه في حياتي، أالسجن يفعل كل هذا؟ ما الذي عشته هنا حتى أصبحت هكذا؟ عم الصمت في المكان، كل القاعة سكتت وتسمر الجميع في مكانهم حتى الحراس لم يتجرأ أحد منهم على الاقتراب، قال آسر في انفعال: يمكنكم الانصراف الآن ولا داعي لزيارتي مجدداً، أما ندى فأنا سأعيدها.

لم نتجرأ على الكلام أو السؤال أو الاستفسار عن ما قاله، لكن واضح جدا أنه يعي ما يقول ومتأكد منه، نادى على الحارس وقال رافقهم إلى الخارج فانصاع الحارس وكأنه أحد عساكره، استدرنا وهممنا بالمغادرة وسط حيرتنا حتى سمعناه ينادي على السيدة خولة وقال: "سأعيدها إليك أعدك بهذا، سأعيدها سالمة إلى حضنك "

***

الخامس عشرة من نوفمبر، لقد مرت ثلاثة أشهر منذ بدأت العمل هنا كسائق وحارس شخصي لشيماء، والتي بدا أنها تقربت مني أكثر وأصبحت تعاملني كأحد أصدقائها، فوجودي معها لا يزعجها كما كان يزعجها بقية الحراس الذين كان يضعهم والدها على رأسها في كل مكان تذهب إليه، وقد كان يخنقها ذلك، وبعد مجيئي تحملت مسؤولية الحماية وحدي بدل مجموعة من الحراس، وبهذا زال الحصار عليها، كان هذا سلاحي في بعض الأحيان عندما تريد القيام بأمر مزعج، فأهددها بالاستقالة من عملي وبذلك يعود جيش الحراس لمحاصرتها، فكانت تعدل بذلك عن أفكارها المجنونة والمزعجة.

اليوم في الصباح استيقظت كما اعتدت منذ قدومي إلى هنا، الاستيقاظ على آذان الفجر أصلي وألبس ملابسي الرياضية وأخرج للجري قليلا، ثم الذهاب إلى قاعة الرياضة المتواجدة في الطابق الأول من الفندق، أتوقف في حدود السابعة لأعود إلى شقتي أستحم وأتناول فطوري الذي أجده جاهزا على الطاولة، نعم لا يمكن الإنكار أن الخدمات هنا مثالية، وبعد هذا أنطلق بالسيارة وأركنها بجانب باب القصر في حدود السابعة والنصف وهو الوقت الذي تخرج فيه شيماء من منزلها، نعم لقد جعلتها تضبط وقت خروجها من البيت بعد أن كانت مهملة، فأنا دقيق جدا في مواعيدي وأجعل الجميع يحترمها غصبا عنه ومهما كانت صفته.

كنا ننطلق من المنزل إلى الجامعة ونستغرق حوالي عشرين دقيقة لتكون في قاعة المحاضرات قبل الثامنة بدقائق ولهذا منذ بدأت العمل هنا فهي لم تضيّع أي محاضرة، وكنت أبقى معها في القاعة أغلب الأحيان، فهي تدرس إدارة أعمال في السنة الأخيرة وهذا ليس مملا جداً، في صباح اليوم وجدت رسالة داخل سيارتي مختومة بختم السفاح، إنها المرة الثانية التي يرسل فيها رسالة منذ حضوري إلى هنا، فتحت الرسالة فوجدت كلمات مختصرة (السابعة مساءاً سيحظر الجميع عند أشرف) إذاً هو اجتماع مع السفاح؟ هل سنُقابل السفاح أخيراً ؟ كل ما أعرفه عنه أنه البارون الأكبر هنا وهو يدير كل شيء في الخفاء ولا أحد يعرف عنه شيئا، فكل شركاته وعقاراته باسم ابنه أشرف، أعتقد أنني أصبحت رجلا موثوقا من رجاله بعد هذه المدة!

بعد قضاء اليوم كالعادة من دون تغيير في الأعمال اليومية، توجهت في المساء إلى القصر في تمام السابعة مساءً لأجد أشرف في الانتظار بجانب سيارة كبيرة وفخمة طلب مني الصعود بسرعة ويبدو أنني كنت آخر الواصلين ومن يهتم؟ لقد قيل لي السابعة وها أنا ذا في تمام السابعة، ركبت السيارة المجهزة بعشرة مقاعد قد كانت خمسة منها مشغولة لأشغل أنا وأشرف المقعدين السادس والسابع انطلقنا من فورنا في رحلة دامت حوالي نصف ساعة لتتوقف السيارة بعدها في مكان شبه خالٍ، فلا يوجد هنا غير الحقول ممتدة على مد البصر، وقد كانت الشمس قد غربت منذ دقائق ولم يبق منها سوى أشعة خفيفة تسمح برؤية محصورة في مجال بضعة أمتار لكن رغم هذا أخرج

أشرف كيسا فيه عصّابات للأعين، وطلب منا وضعها على أعيننا، لنكمل بعدها رحلتنا التي استمرت بضعة دقائق في طريق ترابي غير معبد، حتى توقفت السيارة مجدداً لتعلن عن نهاية الرحلة، نزعنا العصًابات عن أعيننا ونزلنا لنجد منزلا كبيرا قديم الطراز بإنارة خفيفة ولا يحيط به إلا الظلام، دخلنا المنزل وصعدنا إلى الطابق العلوي وكان شاسعا جداً، بل ولا يوجد غرف فيه، فقط مجرد أعمدة قائمة والأثاث متناثر هنا وهناك، وفي الوسط وجدت طاولة مستديرة كبيرة وضع عليها الكثير من أنواع الطعام، جلس الجميع في أماكنهم ويبدو أن كلا منهم له مكان خاص به لأبقى أنا آخر الواقفين، لأحصل على آخر كرسي فارغ يبدو بأنه سيكون مخصصا لي ابتداءً من اليوم.

أذن لنا أشرف بأن نبدأ تناول العشاء، فبدأ الجميع بذلك ما عدا أنا، فقد كانت عدّت تساؤلات في رأسي أين السفاح؟ ألن يأتي؟ لا يوجد كرسي فارغ هنا هل هو بيننا؟ فنطق أشرف"هيا أيها الدب تناول طعامك" ففعلت، وبعد انتهائنا قام الخدم بأخذ الصحون والأكواب وغيرها لتتحول الطاولة من طاولة طعام إلى طاولة عمل، شغّل أشرف حاسوبه المحمول وإذا به صوت مشوش يصدر منه سمعته مرة من قبل عبر هاتف السجن، كان السفاح يتكلم من خلال الحاسوب ويستخدم برنامجا ما لتشويش الصوت: (السلام عليكم (فرد الجميع السلام بوقار وكأنه موجود بيننا، وأضاف: قد يتساءل بعضكم عن سبب تواجدكم هنا اليوم؟ حسنا إنها حالة طارئة، حسين أنور سادات أعلن الحرب علينا، إنه انشق عنا وتحالف مع بعض أعدائنا، وهو الآن في ولاية وهران يبسط نفوذه ويوسع

تجارته وأعماله، بعد أن أعلن استقلاله عنا، وسيحاول إزاحتنا عن طريقه ليصعد هو إلى القمة في حين نهوي نحن، لا نعلم ماذا يدور في رأسه، لذا أترك لكم الأمر فقرروا فأنتم نخبة رجالي وأنا أعتمد عليكم.

نظر إلينا أشرف في تساؤل باحثا عن من يملك الرد؟ فنطقت أنا "سنقوم بحذفه" نظر الجميع إلي باستغراب وعدم تصديق فأكدت لهم:

- أولم يكن تحت جناحكم وانشق عنكم؟ إذن فليكن عبرة لغيره.

نظر أشرف إلى البقية ليرى إن كان هناك من معترض على كلامي فلم يجد إلا الموافقين.

فقال أشرف في حزم:

- نعم هذا ما يجب فعله، فمن يتبنى هذه المهمة ويجلب حسين إلينا راكعا تحت أقدامنا؟

كان أشرف يسأل وعيناه مثبتتان نحوي وكأنه يقول إنها فرصتك أيها الدب، إنها فرصتك لتبهر السفاح وتبدأ في الصعود والارتقاء، فقمت من مقامي وقلت:

- أخبر السفاح أن مهمة اختطاف المدعو حسين أنور سادات ستكون من نصيب الدب وهو لها.

ابتسم أشرف وتهلل وجهه وهز رأسه موافقا وقال إنك لها أيها الدب إنك لها، انتهت بهذا جلستنا وعدنا من حيث أتينا.

عدت إلى شقتي وانتبهت إلى وجود ظرف فوق الأريكة، إنه الظرف المميز بختم السفاح، والذي أعلم جيدا أنه يحتوي على كلمات مهمة، فتحت الظرف فوجدت:

- كنت أعلم أنك ستتبنى المهمة، فهذا ما توقعته منك، كما وأتوقع أيضا أن تنفذ المهمة بنجاح باهر وفي الأخير، عندما بدأت العمل هنا طلبت مني البحث عن أحدهم، لقد تم إيجاده إنه الآن يعمل في أحد الكازينوهات في ولاية وهران، وهذا الكازينو من أملاك حسين أنور سادات.

ندى! آه الحمد لله أنت حية، انتظريني أنا قادم إليك...

كانت نهاية الفصل الدراسي الأول على الأبواب، لذا تحدثت مع شيماء وطلبت منها أن تتحمل الحراس لبضعة أيام، ووعدتها بأني سأعود إلى مرافقتها بعد انتهاء المهمة، طبعا لم أكن سأذهب قبل أن أرضي شيماء، فهي ورقتي الرابحة التي أجهزها لحالة الطوارئ، فكما يُقال لابد من وجود الخطة (ب) في حال فشلت الخطة (أ).

انطلقت في رحلتي بعد ثلاثة أيام، اشترطت أن لا يتصل بي أحد حتى أعود وأخذت معي ثلاثة من أفضل رجال أشرف (جهان خالد وسفيان)، وغادرنا إلى مهمتنا، ألا وهي جلب المدعو حسين أنور سادات وتقديمه راكعاً إلى السفاح، كما وسأقوم بمهمة إضافية وهي الوصول إلى ندى.

بعد وصولنا افترق أربعتنا في مدينة وهران، على أن يحاول كل واحد منا استئجار مكان قريب من الأماكن المهمة بالنسبة لحسين أنور سادات، وجد جهان منزلا ضخما مقابل منزل ضالتنا فاستأجره واستقر فيه، أما سفيان فوجد شقة قريبة من البحر حيث الميناء الذي تتم

فيه أغلب المبادلات والعمليات للمعني، وخالد استأجر غرفة في الفندق الأقرب من مستودعات الحبوب المملوكة أيضا من نفس الشخص الذي نسعى إليه، أما أنا فاخترت التمركز في فندق قريب من الشركة الرئيسية، وكانت غرفة بإطلالة مقابلة لبناء الشركة تماما، لتمنحني القدرة على المراقبة من مسافة آمنه وبأريحية، وبهذا كنا قد تمركزنا في أهم المناطق الحساسة التي يتحرك فيها السيد حسين وما تبقى لنا الآن سوى المراقبة بهدوء ودراسة كل تحركاته، لنتمكن من وضع خطة دقيقة لصيده من دون أي أخطاء.

شهر كامل، كل ما فعلناه هو المراقبة ولا شيء آخر، إنه شخص منظم جداً وهذه نقطة ضعفه، كانت الأسابيع الأربعة التي راقبناه فيها نسخة من بعضها بلا زيادة أو نقصان، كان يومي الأحد والثلاثاء يبقى في الشركة من السابعة صباحاً حتى السابعة مساءً، أما الاثنين والأربعاء فكان يذهب صباحاً إلى الميناء ثم يذهب مع بعض الأشخاص لتناول الغداء في مطعمين يختار أحدهما في كل مرة وبعد الغداء يذهب إلى الشركة ليبقى فيها حتى المساء، ثم يعود إلى منزله ولا يخرج منه حتى اليوم التالي وكان يخصص يوم الخميس للتنقل وتفقد مختلف فروع شركته ومستودعاته، واكتشفنا أنه يملك الكثير فعلا، أما الجمعة فكان يخرج من جحره فقط مساءً ليذهب إلى قرية نائية على حدود ولاية وهران، ويبدو أنه يعقد فيها اجتماعات بالغة السرية مع أطراف أخرى في أحد المنازل البسيطة من دون إثارة الشبهات، في حين كان يخصص يوم السبت لعائلته وغالباً ما يذهبون إلى الأسواق والمنتجعات

والحدائق، الاقتراب منه شبه مستحيل فهو يتحرك رفقة جيش من حراسه وفي أسطول من السيارات المضادة للرصاص.

اجتمع أربعتنا لتبادل المعلومات، وكان علي وقتها وضع خطة الصيد في أسرع وقت، وصلنا بعد دراستنا لسلوك وتحركات ضحيتنا إلى أن الوقت الذي يكون فيه أقل حذراً هو وقت جلوسه في مكتبه مساءً، ففي هذا الوقت يغادر العمال الشركة وتنقص الحراسة حول المبنى، بحيث ينتقل الحراس من محيط البناية وينتشرون عبر الطريق التي تؤدي إلى منزله لتأمين الطريق .

شغّلت عقلي كالعادة وخرجت بخطة شرعت في تنفيذها من دون تردد أو تأخير، كان هدف الخطة هو التسلل إلى داخل الشركة مساءً من دون إثارة الشبهات ثم التسلل إلى مكتب المدير واختطافه من هناك، لكن كيف سنخرجه وحراسه في كل مكان؟ حسنا لأحكي لكم أولا كيف دخلنا:

في منتصف الليل أرسلت خالد إلى أحد المستودعات التي تقِّل فيها الحراسة، ليقوم بإضرام النار فيها ففعل وقبل أن تنتشر النار تدخلت لأنبه الحراس وانطلقت خلف خالد قبلهم أطارده وفي أول منعطف كان رجالي في انتظاري كان يجب أن أبدو كمن تلقى بعض الضربات وهذا ما حدث، لحق بي حراس المستودع ليجدوني طريحا في الأرض مدرجا بالجروح، بعضها حقيقي وأغلبها مزور، وكانت كافية ليحملني ثلاثة منهم ويأخذوني إلى المستشفى في حين بقي من يطفئ النار ومن يطارد خالد والذي كان قد وصل إلى مكان آمن بالفعل، نقلت إلى المستشفى وتولى جهان أمر التقرير الطبي ليبدو الأمر حقيقيا، قضيت الليلة في المستشفى، وفي الصباح جاءتني الزيارة التي كنت أريدها جاء رئيس الخدم _كما قدم نفسه لي_ وشكرني بعدما أخبرته أنني كنت أمر بالصدفة بجانب مستودعهم حتى لمحت رجلا ملثما يسكب البنزين ويضرم النار، فأسرعت بتبليغ الحراس وأردت أن أمسك بالمجرم لكنه كان أقوى مني وحدث ما حدث، فقدم لي بطاقته الشخصية، وطلب مني الاتصال به فور خروجي من المستشفى ليشكرني كما يجب، وهذا ما حدث بعد ثلاثة أيام، حصلت على موعد مع رئيس الخدم وقد كان ذا هيبة بين البقية فهو يشرف على كل الأعمال هنا، كان اللقاء في أحد المطاعم الخاصة بهم

تناولنا غداء فاخر وبعدها قدم لي ظرفا يحتوي على كمية كبيرة من النقود، وقال أنها هدية منهم من أجل ما فعلت فرفضت أخذها، وأخبرته بأنني عامل صيانة أقوم بإصلاح أجهزة التبريد والتدفئة وتركيب أنابيب الغاز والمياه وأنا أحاول توسيع عملي وإنشاء شركة صغيرة في هذا المجال فإن كان يريد مساعدتي فكل ما عليه فعله هو التعامل معي في حالة احتاج إلى عامل صيانة.

بدا أنه اقتنع بكلامي، فطلب بطاقتي وهم بالمغادرة بعدما وعدني بأنه سيتعامل معي في حالة احتاجت أي من أجهزتهم إلى تصليح، وبالفعل بعد يوم بدأت الاتصالات لأبدأ بالأعمال تارة في المصنع تارة في منزل أحد العمال معهم، تارة في مستودع وتارة في أحد فنادقهم، لقد كان علي استئجار فريق صيانة كامل ومرافقتهم إلى كل مكان لأكسب الثقة، لكن يبدو أنه لا يوجد جهاز واحد أو أنبوب يحتاج إلي صيانه في مبنى الشركة، بقيت أنتظر خمسة أيام كاملة بلا جدوى، لذا كان علي اللجوء إلى الخطة (ب) فأرسلت سفيان وكان عليه العبور عبر المجاري ليصل إلى أنابيب الغاز أسفل الشركة ويعبث بها، وبعد ساعات تلقيت الاتصال كما توقعت، إنهم يواجهون مشكلة في تدفئة الشركة وأنا يجب أن أتدخل مع فريقي من أجل حل المشكل، أو بالأحرى خلق أعظم مشكل في تاريخ هذه الشركة، تعمدت التأخير حتى المساء فذهبت أنا وخالد وجهان بلباس عمال الصيانة في شاحنة خاصة، وجدنا رئيس الخدم في استقبالنا، ليدخلنا إلى الشركة بعدما خضعنا للتفتيش الروتيني، أعطانا مخططا يحتوي على أماكن المدافئ بالتفصيل وتركنا رفقة حارسين وذهب، بدأنا

في التظاهر بتفقد المدافئ وتضييع الوقت حتى تصل الساعة الخامسة مساءً، حيث يخرج فيها كل عمال الشركة دفعة واحدة بطريقة عشوائية متيحين لنا بعض الدقائق لتنفيذ خطتنا ومع اقتراب الساعة الخامسة طلبنا من الحارسين أخذنا إلى السطح من أجل تفقد أنابيب التهوية الخاصة بالمدافئ، صعدنا معهما حتى وصلنا إلى السطح وهناك انتهى دور الحارسين الذين انتهى بهما المطاف فاقدين للوعي في إحدى زوايا السقف، وبدأنا بعدها بتجهيز خطة الخروج والهروب من هنا ومعنا السيد حسين، الذي مازال في مكتبه القابع في الطابق السابع والأخير، نزلنا الدرج وتوجهنا أنا وجهان ناحية المكتب وتركنا خالد ليربط الحبل في السقف ويرسله للأسفل ليستقبل نهايته سفيان في الأسفل خلف واجهة الشركة.

إلى حد الآن لا يزال كل شيء يبدو عاديا مجرد عمال صيانة يقومون بعملهم ويحاولون الوصول إلى أنابيب التهوية خلف البناية وهذا ما كان خالد يتظاهر بفعله، أما أنا وجهان فوصلنا إلى باب مكتب المدير، وكان واقفا عنده حارس ضخم الجثة وهناك بجانبه مكتب السكرتارية، وعليه تجلس سكرتيرة جميلة، أخبرت الحارس أننا تمكنا من إصلاح كل المدافئ ولم يبق سوى المدفئة في هذا المكتب لنصلحها ونغادر، فطلب منا الانتظار حتى يغادر المدير وندخل بعدها، وبالفعل توجه جهان ناحية السكرتيرة متظاهرا بمغازلتها، وتكفلت أنا بتوجيه لكمة خاطفه على فك الحارس فخر على الأرض فاقداً للوعي، ودخلت إلى مكتب المدير الذي كان جالسا في سلام على الأريكة بجانب مكتبه، ولما رآني قام واقفاً وقال في دهشة: من أنت؟

فأشهرت في وجهه المسدس الذي أخذته من حارسه قبل أن أدخل إليه وأجبته "أنا الدب، وجئت لأبلغك السلام من السفاح" واقتربت منه ببطء وضربت مؤخره رأسه بقبضة المسدس ليفقد الوعي، دخل جهان وحملنا ضحيتنا وصعدنا به إلى السقف حيث كان خالد قد جهز لنا الحبل والمعدات اللازمة من أجل الهبوط، أشار خالد الى سفيان في الأسفل لينطلق بالشاحنة والتي كان مربوط فيها نهاية الحبل ليصنع لنا طريق الخروج من دون المرور بكل الحراس في البناية، ابتعد سفيان بالشاحنة ليكون الحبل في وضعية مائلة بزاوية مُعتبرة تساعد على هبوط سلس يسهل التحكم في سرعته بواسطه الأدوات البسيطة التي معنا، سبقني خالد وجهان في النزول عبر الحبل ليستقبلا جسد السيد حسين بعد أن وضعناه في كيس، ربطته على الحبل وربطت نفسي أيضا وجعلته متصلا بي للتحكم بسرعة نزوله ثم تركت جسدينا لينزلقا ببطء باستخدام المكابح حتى وصلنا إلى نهاية الحبل حيث الشباب والشاحنة جاهزة للانطلاق.

ركبنا الشاحنة بعدما فككنا الحبل وانطلقنا بأقصى سرعة قبل أن يلحق بنا الحراس الذين بدأوا في الصياح هنا وهناك بالفعل، ويبدو أنه تم اكتشاف أمرنا، لكن لقد فعلوا ذلك متأخرين جداً، فبعد دقائق وصلنا إلى الفندق الذي كان ينزل فيه خالد طوال الأربعين يوما وحيث كنا نخبئ سيارتنا في مرفئه، وضعنا في صندوقها السيد حسين، وانطلقنا من فورنا في اتجاه مدينة عنابة بعدما أنهينا مهمتنا بدقة متناهية.

سبعة أشهر كاملة منذ بداية رحلتي في هذا العلم القذر أذكر كل ما مررت به بأدق التفاصيل، أذكر ذلك اليوم المُفجع عندما علم والدي بأمري وكاد يقتلني من دون أن يسمع كلمة واحدة مني، ورماني في الشارع لتلتقطني أختي، ولكن زوجها أعادني إلى الشارع حيث أصبحت أنتمي لم أطق نفسي ومن دون أن أشعر وجدتني في حافلة لا أعلم وجهتها، وبعد ساعات لم أحصيها توقفت الحافلة وانتبهت أنني آخر من تبقى فيها، نزلت لا أعلم أين أذهب، فاكتفيت بالجلوس على أحد المقاعد داخل محطة النقل البري شاردة، بقيت على حالي طول المساء وطول الليل وحتى الصباح، لم أكن أعلم في أي عالم أنا، جاءني أحد الحراس يسأل عن حالي فطلبت منه أن يتركني فقط أجلس هنا، فبدا متفهماً وغادر، بقيت في تلك المحطة ثلاثة أيام لا آكل سوى الشيء اليسير بعد أن يلح علي أحد العمال هناك.

وفي اليوم الثالث وأنا مازلت في تلك الحالة لا أعي ما يحدث حولي، جاءت سيدة في حدود الخمسين من عمرها أو أكثر قليلا، ربتت على كتفي وقالت: آه يا ابنتي ما الذي مررت به حتى أصبحت بهذه الحالة المزرية؟

رفعت رأسي لأدقق في وجهها، كانت سيدة بيضاء البشرة زرقاء العيون وشعرها أصفر يبدو أنه مزال يتحدى الزمن عكس جلد وجهها المجعد، لقد بدت سيدة ذات مال ونسب وعليها أفضل اللباس وتطيبت بأفضل العطور فارتحت لها، طلبت مني أن أرافقها فهي تسكن في مكان قريب من هنا، حركت رأسي برمز الإيجاب وتحركت معها، في الطريق سألتها:

- في أي مدينة نحن يا خالة؟

- نادني رقية... ونحن في مدينة مستغانم.

سكتت بعدها واكتفيت بالمشي خلف السيدة رقية حتى وصلنا إلى منزل بطابقين، دخلنا إلى المنزل وطلبت مني التصرف وكأني في بيتي، ثم نادت على فتاتين أخرتين كانتا في المنزل" حنان وصفية"، دخلتا حيث أقف أنا والخالة رقية في رواق البيت، كانت حنان ذات قامة طويلة وشعر أسود مموج وعينان عسليتان وبشرة يغلب عليها اللون الأسمر وذات وجه جميل، أما صفية فكانت تملك مواصفات أعجمية، بشرة بيضاء وشعر أصفر طويل وعيون خضراء جميلة، وكانت كلتاهما في نفس عمري تقريبا، رحبتا بي باهتمام، ثم جلس أربعتنا على مائدة الغداء والذي يبدو أن الفتاتين هما من قام بإعداده، بدأن يتبادلن أطراف الحديث وبدا أنهم منسجمون مع بعضهم، أما أنا فاكتفيت بالاستماع ومحاولة الاستيعاب.

بعدما أنهينا الغداء اعتذرت السيدة رقية وقالت أنها ستذهب إلى العمل وستعود مساءً، وطلبت من حنان وصفية الاعتناء بي وتحسين مظهري، وبعد الفراغ من غسل الصحون طلبتا مني الذهاب للاستحمام ريثما تبحثان لي عن ملابس تناسبني.

ففعلت، وبعد الحمام لبست ملابسا نظيفة وجلست في الغرفة التي سيتشاركها ثلاثتنا وهي غرفة واسعة وجميلة، بدا أن الفضول سيقتلهما وهما تنظران إلي وعلامة الاستفهام بادية على وجهيهما، فعرفت بأني سأضطر إلى سرد بعض من ما حدث معي لهم، وهذا ما كان، والمفاجأة أن ثلاثتنا قد عانينا من التشرد وكانت السيد رقية هي التي

سحبتنا من الشارع، نعم فحنان عانت من زواج فاشل وزوج طاغ فهربت منه وانتهى بها المطاف مشردة هنا وهناك بلا مأوى، حتى وجدتها السيدة رقية، أما صفية فقد استغلها أحد الذئاب البشرية فبعدما أراد الزواج منها ورفضته عائلتها قام بتسميم عقلها وإقناعها بالهروب معه لكنه بعد أن أبعدها عن عائلتها وجعلها تخسرهم جميعا تركها وحدها ليحقق انتقامه من عائلتها، وبقيت هي لتواجه هذا العالم القاسي وحدها، وليس لها أحد لتسند عليه ظهرها، وبدأت بالانهيار حتى التقت بالسيدة رقية، وقد جاءت بهما إلى هنا فقط قبل بضعة أيام، أما أنا فحكيت لهم ما حدث معي أيضا وشعرت ببعض الراحة وأنا أفعل ذلك، وحكيت أيضا عن ما فعله آسر من أجلي وقد كانتا خير مستمعتين، وتفاعلتا معي بل وحتى أُعجبتا بآسر وطلبتا مني أن أحكي لهما المزيد عنه.

حكينا طول الوقت وقد استرجعت طاقتي معهما وشعرت بأنني لست وحيدة وكنت ممتنة جداً للسيدة رقية.

قضيت في المنزل ثلاثة أسابيع حصلت فيهم على أروع صديقتين، صحيح أننا قضينا كل الوقت في المنزل ولم نخرج منه أبدا إلا أننا كنا ممتنات لوجودنا في مكان آمن يأوينا.

في مساء أحد الأيام الدافئة طلبت منا السيدة رقية أن نجهز أنفسنا لنكون في الصباح في أبهى حلتنا، فنحن سنذهب في رحلة إلى مدينة وهران الساحرة، شعرنا ببهجة تدخل قلوبنا فنحن سنخرج لاستنشاق بعض الهواء النقي بعد كل هذا الوقت، وثبنا ثلاثتنا نقبل ونعانق السيدة رقية التي أحببناها كثيرا فهي منقذتنا وأمنا الجديدة.

سهرنا الليل في الاستحمام وتسريح شعرنا واختيار ملابسنا، وفي الصباح الباكر استيقظنا، جهزنا الفطور ولبسنا ملابسنا وعدلنا مكياجنا وجلسنا ننتظر السيدة رقية، والتي استيقظت بعد انتهائنا من كل شيء وبقي لنا فقط انتظار إشارتها لنركب السيارة وننطلق في رحلتنا إلى المدينة الساحرة (وهران).

وصلنا بعد رحلة دامت ساعتين تقريبا، وتوقفنا قرب أحد الفنادق الفخمة، طلبت منا السيدة رقية الانتظار في السيارة ريثما تقوم بتسوية أمر حجز الغرف، ففعلت وجلبت لنا مفتاح غرفة ملصق عليها رقم117 ، وطلبت منا أن نذهب إلى الغرفة وننتظر هناك حتى تعود إلينا.

دخلنا إلى الغرفة وقد كانت ضيقة قليلا وتحتوي على سريرين فقط، فبدأنا نمازح بعضنا ونختار من تنام على الأرض، بقينا على حالتنا وجلسنا نفكر في أي رحلة تنتظرنا وإلى أين ستصحبنا السيدة رقية، ونحن كذلك حتى دخل علينا رجل ضخم عريض الكتفين ذو ملامح مخيفة وصرخ في وجهنا" هيا اتبعنني".

كاد قلبي يتوقف من الخوف وكذلك رفيقتَي، وما كان لنا سوى أن نتبعه، نزلنا إلى أول طابق ودخلنا إلى جناح لا أذكر تفاصيله، فقط كان يجلس رجل أنيق ذو هيبة على مكتب وضع في منتصف الجناح وحوله مجموعة من الرجال وامرأتين يبدو من ملامحهما الشر، لم تكونا بشعتين لكن تفاصيل وجهيهما مخيفة بطريقة ما، سكت الجميع ونظروا اتجاهنا وتحدث الرجل الأنيق بعد أن قام من مقامه: "آه يا رقية أنت دائما ما تبهرينني".

نظرنا إلى بعضنا البعض نظرة استغراب ولم نفهم شيئا من ما قاله، ثم نظر إلى المرأتين الواقفتين بجانبه وقال لهما إنهن سيذهبن إلى الكازينو، لذا جهزاهن وليبدأن العمل غداً.

كازينو؟ عمل؟ ماذا يقول هذا الرجل؟

تم أخذنا إلى أحد المنازل بالجوار، فدخلنا رفقة السيدتين، وجدنا البيت كله عبارة عن أسِّرة موضوعة في كل مكان، وكأنه مستشفى في زمن حرب، طلبت منا إحدى السيدتين الجلوس فجلس ثلاثتنا على أحد الأسِّرة الموجودة في كل مكان وأشارت الأخرى إلى أحد الرجال الواقفين عند الباب، فدخل وبيده حقيبة صغيرة ووضعها عند أرجلنا، طلبت منا السيدتين فتح الحقيبة ففتحتها أنا، وجدت ثلاثة خلاخيل معدنية يبدو حجمها أكبر من الطبيعي، فطُلب منا أن نضعها على أرجلنا، ففعلنا من دون أن نعاند، فلا يبدو على المرأتين أنه يمكن مناقشتهما في أي شيء.

بدأت إحداهما في التحدث وشرح طبيعة العمل هنا، علمنا سابقا من الرجل الأنيق أننا سنتوجه للعمل في الكازينو، وأضافت نحن سنعمل بدوام ستة ساعات ونرتاح ستة، وهذه ستكون حياتنا هنا طوال أيام السنة، علمنا أيضا أن الخلاخيل التي وضعناها على أرجلنا هي عبارة عن جهاز كشف المواقع ومجهز أيضا بقنبلة مبرمجة على الانفجار في حالة خروجها من المحيط المحدد لها، أو عند أي محاولة لنزعها، أي أننا أصبحنا عالقات هنا ولا مجال للفرار هذا ليس كل شيء، أثناء العمل تتم مراقبة كل مكان بواسطة الكاميرات، وإن أخطأت أي عبدة ستتعرض للتعذيب على يد رجال العقرب، صحيح لقد ذكرتا لنا أننا أصبحنا من أملاك العقرب، والرجل الأنيق هو عمار الذراع الأيمن له والمسؤول المباشر عن كل العبيد.

بدأنا العمل في الكازينو وكنت أنا وحنان نتبادل المداومة في العمل، أما صفية فكانت تداوم مع أخرى وكانت ساعات عملها هي نفس ساعات عملي، كنا نلبس ملابس ضيقة وتنانير قصيرة موحدة اللون (الأحمر والأسود) وكل ما علينا فعله هو التنقل بين الحضور بصينية تحتوي أكواب مملوءة بمختلف أنواع العصائر والخمور، وكنا ملزمات أيضا بالابتسام في وجوه الحضور والزبائن طوال الوقت، ويا ويلها من تعبس في وجه أحدهم إذا ما حاول مغازلتها أو لمسها.

بعد أيام من العمل هنا وبينما كنت متوجهة إلى منزل العبيد عائدة من العمل، مررت بأحد المتاجر التي تبيع الأجهزة الكهرومنزلية، وقد كان هناك تلفاز شغال يبث خبرا ما، خبر زلزل قلبي: (إلقاء القبض على آسر قريشي بتهمة قتل الضحية أمين جابر).

كل ما يحدث معي وكل الأوجاع التي أعيشها يأتي هذا الخبر ليقتل آخر نفس في جسدي.

مررت بموجة اكتئاب طوال عدة أسابيع تعرضت فيها إلى الكثير من التعذيب بسبب عبوسي وعدم ابتسامي في وجوه الزبائن، مرت الأسابيع والأشهر وأنا على ذلك الحال جسد بلا روح، حتى أتى ذلك اليوم، يوم غير مجرى حياتي يوم أعاد الروح إلى جسدي، كان منتصف الليل وكنت أداوم أحمل الصينية وأتنقل هنا وهناك بين الزبائن المتناثرين هنا وهناك، أمشي شاردة بلا هدف، امتلأت الصينية التي في يدي بالأكواب الفارغة فتوجهت ناحية الساقي لاستبدالها بأخرى مملوءة، وهناك عند طاولة الساقي كان يجلس، لم أنتبه لكنه تكلم، تكلم بصوت عرفته حتى ولو أنه بدا أكثر خشونة من السابق: "ضعي ما بيدك واجلسي معي قليلا أيتها الجميلة".

نظرت إلى مُحدثي ونَظَرَت إليه كل أعضائي إنه هو بسُمرته ووسامته، هو بنظرته الجريئة وابتسامته، إنه (آسر).

انتابني إحساس غريب، مزيج من الدهشة والسعادة والحب والألم والأمل... عشرات الأحاسيس كلها دفعة واحدة، أردت أن أرتمي في حضنه وأبكي وأشتكي إليه كل ما مررت به وما أمر به، أردت أن ألقي عليه بكل أحزاني، أردت أن أعانقه وأخبره كم هي الدنيا بشعة في غيابه، أردت أن أخبره كم اشتقت إليه... لكنه قاطعني بل أيقظني قائلا: ما اسمك أيتها الجميلة؟

تمكنت من ترجمة سؤاله على الفور فأنا لازلت أملك بعض العقل، نعم وكأنه يقول لا أريد أن يكتشف أحد بأنني أعرفك، نظرت إلى عيونه وبدت أنها تخفي الكثير، كانت الكثير من التساؤلات في رأسي لكن واضح أنه ليس هنا للإجابة على أسئلتي، تحرك من كرسيه واستوى واقفاً ثم انحنى ناحيتي وهمس في أذني:

- "سأخرجك من هذا العالم".

تركني جالسة مشدوهة وهمّ بالمغادرة، لكني لم أستطع كبح نفسي، ولحقت به عند الباب، ماذا تقصد؟ كيف؟ ابتسم ابتسامة واثقة ثم همس في أذني مجددا:

- "الخبر الذي سيذاع غداً سيكون بداية خروجك من هذا العالم القذر".

لم يضف شيء ومشى إلى الخارج وابتعد إلى حيث لا تبصره عيناي، عاد جسدي إلى طاولة الساقي لأستأنف عملي في حين غادرت روحي معه، إلى أين يا آسر؟ أنا أتعطش للجلوس معك، خذني معك لا تتركني هنا وحدي.

في اليوم التالي كنت أنتظر الخبر، لا أعلم ما هو ولكن أي خبر له علاقة بهذا العالم الذي أنا فيه، لم أفوت أي خبر طيلة اليوم فأنا طلبت من حنان أيضا متابعة الأخبار من

أجلي وقت دوامي، وإخباري عن أي خبر له علاقة بعالمنا القذر.. نشرة الثامنة: خبر عاجل "اختطاف رجل الأعمال حسين أنور سادات الملقب بالعقرب".

***

أنهينا المهمة بنجاح وعدنا إلى عُقر دارنا، وجدنا أشرف في الاستقبال رفقة مجموعة من رجاله، لم يكن مصدقا لي عندما اتصلت به قبل ساعات وأخبرته أن العقرب تم صيده، هرع إلى صندوق السيارة وفتحه ليجده هناك في وضع مهين مكبل الأطراف ومغلق الفم، تهلل وجهه وعانقني وقال أنت لم تخيب ظني أبداً، وطلب مني أن أذهب إلى شقتي وأستريح على أن يتم استدعائي لاحقاً.

توجهت إلى شقتي ولم يكن يشغل بالي سوى مخلوق واحد "مدللتي ندى" أي حالة مزرية كانت فيها؟ وما مرت به؟ وكيف تعيش وسط هذا العالم القذر؟ وكيف يعاملها هؤلاء المجرمون كعبدة يلعبون بها ويعذبونها كيفما يشاؤون؟

أشعل هذا نارا في داخلي، ولكن ماذا يمكنني أن أفعل في حالتي هذه، كل ما استطعت جمعه من معلومات أثناء تعقبي للعقرب هو أنها تنزل في مبنى قريب من الكازينو الذي تعمل فيه ويتم مراقبة كل تحركاتها بواسطة متعقب وُضع على قدمها، وهو مزود بقنبلة قادرة على الانفجار والفتك بها أو بقدمها في أحسن الظروف، تبا ما الذي فعلته هذه المسكينة لتواجه كل هذا لوحدها؟

تذكرت حينها العم حسين وزاد حقدي عليه، فما كان يجب عليه إخراجها من بيته الآمن، حسنا أنا قطعت عهداً على نفسي أن لا أرى عائلتي حتى أعيد ندى إلى حضن أمها، وصلت إلى شقتي، أخذت حماما دافئا ثم استلقيت على فراشي باحثا عن بعض الراحة التي تطالب بها كل أطرافي، غربت الشمس وعم الهدوء والجو لطيف، مساعد على النوم والدخول في سبات عميق، لكن أبى رنين هاتفي

إلا أن يوقظني قبل أن أتذوق طعم النوم، إنها شيماء وستقلب الدنيا على رأسي إن لم أجب على اتصالها.

- ألو شيماء ما الأمر؟

-ما الأمر؟ هل هذا أول ما تجيبني به بعد كل هذا الغياب؟ أتعلم كم حاولت الاتصال بك في هذه الأربعين يوماً وباءت كل محاولاتي بالفشل، لأنك كنت تغلق هاتفك اللعين طوال الوقت، أتعلم كم انتظرت عودتك بفارغ الصبر؟ وبعد أن عدت اليوم لم تحاول حتى الاتصال بي وإخباري عن عودتك، وتأتي الآن وتقول لي بكل وقاحة ما الأمر؟

-هل انتهيت؟ إذا كنت قد انتهيت فدعيني أنام الآن، فأنا متعب جدا.

- ماذا؟ من أي نوع من الصخور تشكل قلبك؟ حسنا تريد أن تنام؟ هذا لن يحدث يجب أن تصطحبني إلى أحد المطاعم الفاخرة من أجل العشاء، ولن تناقشني بأي كلمة فهذا أمر وليس طلب، حسنا أنتظرك بعد ساعة عند منزلي.

يا إلهي ما كل هذا الإزعاج؟ أنا حقا أريد النوم، هل يمكن تصنيف هذه المخلوقات على أنها جنس لطيف حقاً؟ تباً في الأخير أنا لا أستطيع فعل شيء سوى الذهاب معها وتحمل ثرثرتها طوال الوقت ثم أعود بسرعة لأكمل نومي.

جهزت نفسي وانطلقت بسيارتي وركنت بجانب منزلها لتخرج في أبهى حلتها وبكامل أناقتها، جاءت إلي مسرعة والابتسامة على وجهها وكأنها ليست المخلوق الذي هاجمني بشراسة قبل قليل عبر الهاتف، وعانقتني وكأني لست موظفا عند والدها وبدأت في الكلام:

-مرحبا أيها الوسيم لقد اشتقت إليك.

كان علي مجاراتها بسرعة فأخفيت عن وجهي ملامح الاستغراب واستبدلتها بملامح أخرى باسمة وقلت:

- مرحبا يا جميلتي، ما كل هذه الأناقة؟ هل ستخرجين في موعد مع أحدهم؟

- أتشعر بالغيرة؟ هيا دعنا نذهب فأنا حجزت طاولة في المطعم بالفعل.

توجهنا إلى المطعم واتضح أنه فقط عشاء من أجل عودتي، كانت تبدو سعيدة جداً وهي تثرثر عن مغامراتها ومحاولاتها للهروب من الحراس في غيابي، ببساطة إنها مجرد فتاة بريئة ومشاكسة… أتى النادل بلائحة الطعام أعطى لشيماء نسخة وأعطى لي أنا نسخة أيضا لكن كان مع خاصتي قصاصة ورق يبدو أنها رسالة من شخص ما، نظرت يمينا وشمالا ببطء بحثاً عن أي عين تراقبني، فلم أجد أي مراقب، ثم فتحت القصاصة بحذر من دون أن تنتبه شيماء التي كانت مشغولة مع اختيار طبق العشاء، فوجدت كلمات مختصرة كافية بتغيير مجرى حياتي "خالد

شريف أو آسر قريشي؟ لنلتقي غداً في العنوان المرفق لتحدد بأي هوية تريد أن تعيش".

ماذا؟ من هذا؟ من أين يعرفني؟ وماذا يقول؟ تساؤلات عديدة دهشة، فزع، ريبة وخوف، كلها طُبعت على وجهي ولم أنجح في إخفائها عن شيماء التي أكلت رأسي بالأسئلة ما بك؟ ما الأمر؟، حاولت التصرف على سجيتي وأقنعتها أنها مجرد آلام في الضرس، وانطلت عليها، أكملت معها وجبة العشاء ثم تمشينا قليلا كما أرادت ولا أعلم أي مواضيع كانت تتحدث فيها طوال الوقت فعقلي كان في مكان آخر، أوصلتها إلى المنزل وطلبت منها أن تذهب في الصباح إلى الجامعة مع الحراس على أن ألحق بها قبل الغداء، أبدت تذمرها ولكنها وافقت على كل حال، قضيت الليلة في التفكير في تلك الكلمات وفي الشخص الذي أرسلها، من يكون وكيف يعلم؟ كانت ليلة طويلة أبت أن تنتهي وبعد طول انتظار حلّ الصباح أخيرا، توجهت إلى العنوان الذي كُتب على القصاصة ولم يكن بعيد جداً، حديقة صغيرة بجانب شاطئ البحر، وصلت قبل الموعد بعدّة دقائق وهذا ما لم يحدث من قبل، فأنا دائما ما أصل في مواعيدي في الوقت المحدد بالضبط لا أكثر ولا أقل، جلست على أحد المقاعد الخشبية أنتظر صاحبي والذي أتى بعد لحظات كان رجلا كهلا في أواخر الأربعينات، طويل القامة ونحيف البنية، يكسو شعره بعض الشيب، يلبس ملابسا رياضية ولا يبدو عليه أي شيء مثير للريبة، فقد كان عادياً جداً، جلس بجانبي بعد أن ألقى التحية وقال:

-تتساءل من أنا؟ حسنا أنا لطفي عميل لدى المخابرات، ستتساءل أيضاً ماذا تريد المخابرات منك؟

سأجيبك: أنت ستقدم لنا شيئا ثمينا وسنقدم لك شيئا أثمن، سنقدم لك حريتك لتعود إلى أهلك وحياتك الطبيعية.

لم يستوعب عقلي ما يتفوه به هذا الرجل فقلت:

- تكلم بوضوح ماذا لديك؟ وماذا تريد؟

-لم يمت أمين جابر متأثراً بالجروح التي سببتها له أنت وإنما تم قتله من طرف شخص آخر، نحن نملك الأدلة ونعرف القاتل الحقيقي، وأنا هنا لأعرض عليك صفقة، سنثبت براءتك وتسترجع هويتك وحريتك مقابل أن تعمل معنا وتقدم لنا السفاح وبقية شركائه.

- حريتي أنا؟ حياتي السابقة؟ أستطيع العيش حياة طبيعية بعد كل هذا؟

-نعم هذا ما سيحدث إن تعاونت معنا.

- إذا كنتم تعلمون بأنني بريء فلما لا تعلنون براءتي وتنهون كوابيسي مباشرة؟

-لكل شيء ثمنه يا سيد آسر.

- لكن ما المطلوب مني؟ وكيف سأسلمكم السفاح؟ أنا مجرد سائق عنده ولا أعرف شيئا عنه أو عن عمله ولا شركائه.

- أنت كنت سائق ابنته وهذا دليل على ثقته بك، وبالنظر إلى ما فعلته هذه المرة فأنت لن تبقى مجرد سائق، أنت الآن فتحت الباب لدخول عالمهم، متأكد أن السفاح سيعقد اجتماعا من أجلك ومن أجل مصير العقرب، وسيعرض عليك الانضمام إلى طاولته ويشركك في أعماله القذرة، فأنت قد نلت إعجابه وأثبتت قدراتك، كل ما عليك فعله هو الدخول معه وكشف أسرار إمبراطورية.

- هذا يعني أنني سأكون منهم وسألطخ يدي بأعمالهم؟

- قيامك ببعض أعمالهم لا يعني أنك ستصبح منهم أو مثلهم، أنت ستفعل هذا لغرض نبيل، أنت ستوقف زحفهم والتفافهم وسيطرتهم، نحن نتابعك منذ زمن ونعرف ماضيك ونظافتك ونعرف ما أنت عليه الآن وما أنت قادر على فعله، لذا أنت الأنسب لهذه المهمة والتي لن نستعجلك فيها، خذ كل وقتك وارتقي بينهم، ثم ابدأ بإسقاطهم، لنلتقطهم نحن ونضعهم في المكان الذي يجب أن يكونوا فيه.

- همم حسناً، إن حريتي تستحق هذا، لذا سأفعل ولكن بشرط، أن لا تقتربوا مني ولا تتدخلوا في أعمالي، أنا الآن سأغوص أعمق سأغوص في عالمهم وأسيطر فيه، ثم أسقطهم واحدا تلوى الآخر.

- نعم لك هذا أنت اخترت الصواب، وقبل أن أغادر أعلم أنك ستقوم بأعمال تنافي طبيعتك وأخلاقك، لكن لا بأس فرغم هذا أنت في الطريق الصحيح، مهما فعلت فهدفك الرئيسي هو تخليص العالم من أحد أخطر المنظمات الإجرامية عبر التاريخ، وستكتشف ذلك بنفسك.

- لا بل هدفي الرئيسي هو إثبات براءتي و لا يهمني عالمك هذا.

انتهت جلستي مع عميل المخابرات والتحقت بشيماء لأكمل مهامي اليومية كما اعتدت من قبل، وكل تفكيري في الصفقة التي عقدتها قبل قليل، رغم شعوري بالخوف من الدخول إلى عالم السفاح إلا أنه انتابني شعور بالسعادة فأنا منذ دخولي السجن وأنا أفكر في طريقة لإثبات براءتي

فقد كنت متيقنا بأنني لست القاتل، لكن كيف أفعل؟ أي أدلة ستثبت براءتي؟ هاهي ذي الأدلة جاءت لعندي، كيف سأضيع هذه الفرصة الثمينة، فرصة استرجاع حياتي.

بعد ثلاثة أيام وجدت رسالة مختومة بختم السفاح مضمونها: (الطاولة تجتمع في منتصف الليل) ، كان واضح أنه بعد هذا الاجتماع سيتغير كل شيء بالنسبة لي وذلك ما حدث بالفعل، فبعد وصولي إلى موقع الاجتماع معصب العينين، وجدت نفسي جالسا على طاولة بين ستة رجال من بينهم أشرف وكان الجميع يضع قناعا أسودا على وجهه ما عدا أنا وأشرف، شغل هذا الأخير حاسوبه المحمول ليسمع الجميع صوت السفاح (المشوش) ألقى التحية وردها الجميع ثم أضاف:

- لدينا اليوم قضيتين رئيسيتين وهما قضية الخائن حسين أنور سادات وما سنفعله به، وقضية منصبه الشاغر ومن سيشغله ويدير أعمالنا هناك؟ أشار أشرف إلى حارس الباب وقال أدخلوه، فجاء به أحد الحراس مقيدا على كرسي متحرك وفمه مقفل بشريط لاصق ووضعه بجانب الطاولة، عم الصمت وكان الجميع يفترسه بنظرات حقد عجزت الأقنعة على وجوههم عن إخفائها، إنه الخائن الذي انفصل عنهم وتعامل مع أعدائهم وأفسد تجارتهم وسبب لهم الكثير من الخسائر في ظرف وجيز، لقد خانهم بعد أن دعموه وشجعوه وساعدوه حتى يرتقي ويصبح أحد أكبر رجال الأعمال في البلد، لكن أين كان يظن أنه سيذهب؟ ومن يتجرأ على خيانة السفاح وينجو بفعلته؟

أخرج أشرف من حقيبته وثائقا ووضعها أمام العقرب وطلب من الحارس فك يده وقال:

- هذه وثائق تنازلك عن كل أملاكك: عقاراتك شركاتك سياراتك شاحناتك وكل شيء مسجل باسمك، نظر العقرب إلى وجه أشرف ثم جال بنظره حول كل الحضور وكانت نظرة فارغة، نظرة أسى وحسرة وندم، أراد أن يترجى أو أن يطلب فرصة أخرى، ولكن الشريط اللاصق على فمه منعه من التفوه بأي كلمة، سحب أشرف مسدسا من أسفل الطاولة ووضعه فوقها إشارة إلى العقرب بالإسراع قبل أن ينسف رأسه، فأمسك القلم وبدأ في التوقيع وثيقة تلوى الأخرى والدمع يفيض من عينيه حتى أنهى آخر واحدة.

أشار أشرف مجددا إلى الحارس فأعاد تقييده وسحبه قليلا إلى الخلف.

بدأ الآن السفاح بالتكلم مجدداً عبر الحاسوب المحمول وقال:

- انتهينا الآن من قضية العقرب وسننتقل الآن إلى قضية من سيخلفه، حسنا سأقدم لكم مرشحي، لا يهم اسمه الحقيقي فجميعكم يعرف أنه الدب، وجميعكم يملك معلومات عنه، وإليكم بعض المعلومات الإضافية التي جعلتني أرشحه أيضا، إنه إداري بارع فقد كان يعمل في إدارة المطارات سابقا وله خبرة جيدة في المعاملات التجارية وإبرام الصفقات المختلفة، كما أنه أبدى قوة وذكاء غير مسبوقين وأثبت وجوده وجدارته في وقت وجيز رغم صغر سنه، لذا أرى بأنه بعد القليل من الدعم والتوجيه منا سيكون عونا كبيرا لنا وسنستفيد من ذكائه، هذا ما أراه أنا فما رأيكم أنتم؟

هز الجميع رأسه كإشارة بالإيجاب وتكلم أحدهم:
- طالما سيكون تحت جناحنا فسيكون كل شيء بخير كما أنه سيكون له مستقبل زاهر وهذا ما يبدو عليه، حسنا نحن موافقون على انضمام الدب إلى طاولتنا.

قام أشرف من مقامه وأخذ الوثائق والمسدس ووضعهما أمامي وقال :

- أيها الدب تبقى موافقتك الآن وستحصل على كل شيء وستبقى بيننا وستكون في مقام الملوك، كل ما عليك فعله الآن هو التوقيع، التوقيع على هذه الوثائق وتستلم مكان العقرب، لكن قبلها يجب أن توقع بالدم، نعم يجب أن تقتل من أجل السفاح، يجب أن تقتل من خاننا، لذا إليك المسدس وقم بالتوقيع الآن.

كنت أعلم أن عبوري إلى هذا العالم لن يكون سهلا، كنت أعلم أن الدخول إلى هذا العالم سيجعلني أتخلى عن مبادئي، كنت أعلم أنهم سيطلبون شيئا يثبت ولائي، أنا أقتل؟ حسنا كنت سأقتل من أجل ندى التي اغتصبت، وهؤلاء يغتصبون العالم كل يوم فكيف أقتل من أجلهم؟ فجأة تذكرت كلام عميل المخابرات، نعم سألطخ يدي إن كنت سأوقف أيديهم عن سفك الدماء ونهب البلاد والعباد نعم هذه هي تذكرة عبوري وأنا سأعبر مهما كان الثمن حملت المسدس وتمشيت حتى استويت خلف ضحيتي ومن دون ترك مجال للتردد أو التراجع قمت بصنع ثقب في مؤخرة رأسه.

تم سحب الجثة إلى الخارج، وطلب مني أشرف توقيع الوثائق لأستلم كل أملاك وأعمال الضحية وأبدأ أول خطواتي في هذا المستنقع، بعدما وقّعت كل الوثائق وقف

جميع الحاضرين ونزعوا أقنعتهم إعلاناً عن ثقتهم بي، وتقدموا إلي يسلمون ويرحبون بي بينهم.

ثم تكلم السفاح وقال:

- مرحبا بك مجدداً أيها الدب، مرحبا بك في عالمنا، أرجو أن تثبت جدارتك وتجعلني فخورا بك، أنا لن أتدخل في أعمالك أو في طريقة إدارتك لها، أنت حر في انتهاج طرقك الخاصة، كل ما عليك فعله هو القيام بالتسيير الحسن لأعمالنا بشتى الطرق، واعلم بأنني سأكون بخير طالما الأموال تستمر في التدفق عند قدمي.

***

العقرب تم اختطافه؟ إنه حقا خبر سيغير الأمور هنا!

أهذا هو الخبر الذي تحدثت عنه يا آسر؟ مهلا أيمكن أن يكون لك علاقة بهذا الاختطاف؟

أغلقت الملاهي والكازينوهات التابعة للعقرب لأسبوع كامل بقينا فيه محتجزين في المنزل لا نفعل شيئا سوى الجلوس والدردشة ومحاولة تقصي الخبر، جلست أنا وصديقتي حنان وصفية وأخبرتهم بما قاله لي آسر قبل يوم من الاختطاف، إنه سيأتي لإنقاذي قريبا فهو وعدني بهذا ووعدتهما بدوري أنني سآخذهما معي ولن أتركهما خلفي تهلل وجههما وسعدتا كثيراً وعاد إليهما الأمل، فهما تعلمان مني من هو آسر وما هو قادر على فعله، في اليوم الثامن دخلت علينا امرأة أربعينية جديدة لم نعرفها، فقدمت نفسها :

- أنا أروى وأنا المشرفة الجديدة عليكن.

ماذا؟ ماذا عن السيدتين الشريرتين؟ فأجابت بكل ثقة:

- لن ترونهما مجدداً، لكن أنا أيضاً لست طيبة لذا لا داعي للتهاون، ستبدأن العمل هذا المساء وسوف أقسم عليكن جدول الأعمال الجديد، بحيث سيكون العمل لستة ساعات والاستراحة اثنا عشرة ساعة.

فرحنا جميعا بهذا فأخيرا سيكون لدينا وقت إضافي للتنفس، بدأنا العمل كالعادة وهذه المرة كان حظنا جيداً فقد كنت أنا وحنان وصفية في نفس ساعات الدوام لذا عند الانتهاء من العمل كنا نخرج قليلاً لنتمشى ونتجول في أرجاء المدينة، تحسن حالنا بالفعل بعد اختفاء العقرب كما أن السيدة أروى لا تعذبنا عندما نخطأ بل تكتفي بعقابنا بزيادة ساعات العمل أو تنظيف الحمامات، بعد شهر

تقريباً تم استدعاؤنا جميعا إلى الكازينو الذي نعمل فيه، حتى من كنّ في وقت راحتهن أو اللاتي كن يعملن في بقية الملاهي والكازينوهات، اجتمعنا كلنا في الكازينو الذي أعمل فيه، كان المكان مغلقا ولا يوجد فيه سوى نحن البنات ومجموعة من الحراس منتشرين في كل مكان، كان واضحا أن أمرا مهما حدث حتى يتم جمعنا هكذا، وبقي الجميع يترقب حتى دخلت السيدة أروى وقالت:

- المالك الجديد يريد أن يتحدث معكن لذا أرجو الهدوء وحسن الإصغاء.

نحن لم نر العقرب من قبل ولا مرة واحدة، فكيف يأتي هذا ويطلب التحدث معنا؟ مع عبيد حثالة لا قيمة لهن.

ونحن ننتظر ونترقب لنعرف من هذا المالك الجديد حتى دخل علينا!

دخل علينا بشعره الأسود ولحيته الخفيفة وكتفيه العريضتين وقامته الطويلة، دخل علينا ببدلة سوداء أنيقة زادته هيبة فوق هيبة، دخل علينا آسر! نعم إنه هو بشحمه ولحمه، لم أصدق ما تراه عيناي، دارت الدنيا فوق رأسي وفقدت توازني وكدت أسقط لولا أن صفية كانت واقفة بجانبي فأمسكت بي، تنحنح قليلا ثم بدأ الكلام :

- السلام عليكم، أنا الدب وأنا المالك الجديد هنا، لم يعد هناك وجود للعقرب ولن يبقى نظامه، علمت كيف تتم معاملتكن هنا ولقد فُطر قلبي بالفعل، لا أستطيع التعويض عن ما فات ولكن أعدكن أن لا يحدث ذلك مجدداً، من اليوم لستن مجبرات على العمل هنا _وأشار إلى الحراس الذين تحركوا ناحيتنا وبدأوا في نزع الخلاخيل الموضوعة على أقدامنا_، الآن أنتن أحرار لن تبقى هنا

سوى من تريد العمل معنا، سوف يكون لمن تبقى معنا راتب شهري جيد، وغرفة دائمة في أحد الفنادق الخاصة بنا، وسيكون مكتبي مفتوحا لأي استفسار أو شكوى أو طلب لإحداكن، حسناً هذا ما أري قوله، لن يكون هناك عمل اليوم لذا اذهبن إلى منزلكن واتخذن قراركن في البقاء أو المغادرة، على أن تبدأ الراغبات في البقاء العمل صباح الغد.

أنهى كلامه وغادر تاركاً على وجه الجميع علامة تعجب واستفهام، لم نتوقع أبداً أن يطرأ تغيير جذري هكذا وبهذه السرعة، حرية، راتب شهري وإقامة محترمة؟ لحظات من الصمت والهدوء ثم دوى الصراخ والعويل في المكان، نعم إنه صراخ الفرح صراخ الحرية، كان الجميع سعيدات جداً ويقفزن كالمجانين، حتى صفية وحنان لم أرهما فرحتين هكذا من قبل، بقيت أنا الوحيدة في صدمتي ولم أتحرك من مكاني، بقيت موجهة نظري في المكان الذي دخل منه آسر ومنه خرج، لا زال عقلي لم يستوعب ما يحدث شعرت بصداع شديد فهويت جاثيةً على ركبتي ممسكة برأسي بقوة في محاولة مني لتخفيف هول الصدمة، حتى وجدتهما جاثيتان أمامي يحاولان التخفيف علي وبدتا مرعوبتين وخائفتين علي، سألتا ما بك ندى ما بك تكلمي؟ وأخذتا تهزانني من كتفي تكلمي ما الأمر؟ فأجبتهما بأعلى صوتي:

"إنه آسر" أجبتهما في انفعال ومن دون وعي "إنه آسر"

- من؟ أتقصدين الدب؟

-نعم إنه هو.

- ماذا؟ لا يمكن، أيعقل هذا، أيمكن أنه وصل إلى هنا وأتى لإنقاذك مثلما وعدك، وبهذه الطريقة؟ يا إلهي كم هو رائع، انظري ماذا فعل وإلى أين وصل من أجلك.

- أحقا كل هذا من أجلي؟ لكن كيف وصل إلى هذا المنصب بل كيف خرج من السجن أساساً؟ آه يا آسر ماذا تخبئ في جعبتك.

قضينا الليلة في الاحتفال لم تنم أي واحدة فينا، كل الحديث كان عن الدب وهيبته ووسامته ولطفه وقوة حضوره، آه لقد أشعلن الغيرة بداخلي وكم وددت لو يرحلن جميعاً، لكن في الصباح أربعة من قررن الرحيل، أما البقية فكلهن قد قررن البقاء والعمل تحت راية الدب، حتى صفية وحنان اختارتا البقاء، وأنا أيضا لم يعد يوجد مكان على هذه الأرض يمكنني العيش فيه إلا مكان يوجد فيه آسر.

بدأنا العمل مجدداً ولكن هذه المرة كان الأمر مختلفا عن السابق، هذه المرة كانت ابتسامة حقيقية تعلو الوجوه وليس مجرد ابتسامة زائفة، تحسنت أوضاعنا المعيشية وأصبح لنا راتب نأكل به ما نريد ونذهب به حيث نريد ونستمتع بوقتنا، إنها حياة جديدة منحنا إياها المدعو بالدب.

تذكرت تبا له لقد مضت عدة أسابيع منذ توليه الإدارة هنا ولم يسأل عني ولا مرة، وكأنني غير موجودة أو لا يهمه أمري أصلا، لم أعد أحتمل، أنا سأذهب إليه.

بعد نهاية دوامي توجهت مباشرة إلى المبنى الرئيسي للشركة حيث يوجد المدير، دخلت إلى المبنى وجدت مكتب الاستقبال مقابل المدخل فتوجهت إليه، استقبلتني أحد الموظفات وسألت عن سبب زيارتي، فأخبرتها أنني إحدى الموظفات وجئت لتقديم شكوى للمدير.

فسألتني إن كان لي موعد معه !

تباً له لقد أصبح كبيراً وذو شأن وأنا أحتاج إلى موعد لكي أراه؟ فقلت بنبرة غاضبة:

- لا أنا لا أملك موعد لكن اتصلي به وأخبريه أن ندى تريد مقابلته وسيكفي هذا، طلبت مني الجلوس ريثما تتصل، بقيت أنتظر حتى استدعتني وقالت :

- إنه يقول تكلمي مع السكرتير واحصلي على موعد.

ماذا؟ أيريد امتحان صبري؟ حسناً سوف أحصل على موعد وسأجعلك تدفع الثمن عندما ألتقيك.

ذهبت إلى السكرتارية وحصلت على موعد، وبعد يومين قضيتهما في تجهيز جمل تعصف بكيانه، حان وقت الموعد أخيراً، جهزت نفسي وذهبت إليه، دققت الباب فأذن لي بالدخول، دخلت إلى مكتبه الشاسع والجميل، أخذت لمحة سريعة حول المكان وبحثت فيه عن صاحبي فوجدته واقفاً عند الشرفة ينظر إلى الخارج، كان يلبس سروالا كلاسيكيا وحذاءً جلديا فاخرا، وفي الأعلى قميص أبيض ملتصق على جسده عاجز عن إخفاء عضلاته المثيرة، استدار ناحيتي ليكشف عن وجهه الوسيم الذي لم أعتد عليه حتى الآن ففي كل مرة أراه فيها أشعر بأنني أقع في حبه لأول مرة، استجمعت نفسي وتذكرت بأنني هنا من أجل توبيخه لإهماله لي، كنت سأبدأ بالصراخ في وجهه لكنه بدأ يتحرك ناحيتي فخرص لساني، استمر في الاقتراب مني حتى استوى واقفاً أمامي، ومد ذراعيه إلي وضمني إلى صدره.

ضمني إليه ولم يتفوه بكلمة، لم أستطع كبح دموعي فبدأت تفيض وتنساب على قميصه، لم نتكلم حينها نحن وإنما تكلمت قلوبنا، اشتكت لبعضها، تركني واستدار

متوجها نحو مكتبه محاولا إخفاء دموعه، تنحنح قليلا ثم قال بنبرة جادة :

ماذا جاء بك إلى هنا؟

فقلت باستياء:

-أنت لم تتصل بي ولم تأت لتفقدي كل هذه الأيام رغم قدرتك على ذلك.

فأجاب ساخرا:

- ماذا تعتقدين، موانئ، باخرات، شاحنات، سلع وصفقات وغيرها الكثير، أتركها كلها وأذهب لتفقد موظفة من الطبقة الكادحة؟

فقدت عقلي من كلامه وبرودته وبدأت بالصراخ في وجهه حتى دخل الحارس في عجالة، فأشار له آسر فخرج، تمشى آسر نحوي حتى استوى أمامي ووضع يديه على كتفي وقال :

- لماذا لم تغادري عندما منحتكم الحرية؟

- لن أذهب من دونك.

-ندى أنا دخلت في حرب مع وحوش لا قبل لي بهم، ونقطة قوتي الوحيدة هي أنني الدب هنا ولست آسر الذي يملك الكثير من نقاط الضعف، فلا تكوني نقطة ضعف الدب أيضا.

- ما الذي أقحمت نفسك فيه يا آسر، وكيف وصلت إلى هنا؟

- لا تهتمي فقط لا تتهوري مجدداً وتأتي أو تحاولي الاتصال بي، أعلم أنك عنيدة ولن تغادري ولكن على الأقل لا تتسببي في مشاكل لا ندري كم ستكلفنا.

- حسناً لقد فهمت لن أتسبب في المشاكل لكن لا يمكنك منعي من رؤيتك، أنا ذاهبة الآن، لن أعطلك أكثر فلك أعمال كثيرة كما قلت، وبالمناسبة يبدو أنك لم تنتبه بأنني أعمل في توزيع أكواب الخمور بين الرجال؟ نعم وصديقتيّ حنان وصفية أيضا تفعلان ذلك، هذا كل شيء اعتني بنفسك.

في صباح اليوم التالي كنا نتجهز للذهاب إلى العمل كالعادة حتى جاءت السيدة أروى إلى الفندق الذي ننزل فيه أنا وحنان وصفية وطلبت منا جمع أغراضنا واللحاق بها، ففعلنا.

ركبنا سيارتها وبعد بضعة دقائق توقفت السيارة بجانب فيلا رائعة ليست كبيرة ولكنها مبنية بهندسة رائعة، ومحاطة ببساتين جميلة، نزلت السيدة أروى ودخلت الفيلا التي كان يحيط بها الحراس من كل جانب، ودخلنا خلفها نجر حقائبنا، فتحت إحدى الغرف في الطابق السفلي وكانت كبيرة جداً، تحتوي على ثلاث أسرة وخزانة خشبية للملابس وأريكة على شكل قُبلة حمراء جميلة وُضعت أمام تلفاز كبير معلق على الحائط، ومكتبة صغيرة في الزاوية، قربها مكتب مجهز بمصباح للمطالعة، كانت غرفة جميلة ورائعة ويبدو أنه تم تجهيزها لنا، تكلمت السيدة أروى :

- هذه ستكون غرفتكم في هذا المنزل وهو منزل الدب، لا أريد أي مشاكل أو شكوى منه على تقصيركن، أما عملكن هنا، فصفية أنت البستانية وستعتنين بالحدائق الموجودة حول البيت وداخله، حنان ستهتمين بنظافة البيت طول الوقت، أما ندى فأنت الطباخة، ستجدين لائحة الأطباق على حسب الأيام في المطبخ، أغلب الأيام يتناول الدب

الغداء في الخارج لذا سيكون عليك تحضير فطور الصباح والعشاء فقط، حسناً هذا كل شيء.

خرجت السيدة أروى وتركتنا وحدنا رفقة رجل كهل علمنا لاحقاً أنه العم صفوان وهو الخادم الرئيسي هنا والمشرف علينا، كانت صفية وحنان سعيدتان جداً وتعانقان بعضهما وتعانقانني ثم قالت حنان :

- ما بك ندى ألست سعيدة؟ إنه عمل نظيف أخيراً؟

- إنه يستهزئ بي إنه أكثر من يعلم بأنني لا أجيد الطبخ.

- من يستهزئ بك؟

- آسر، هو من وضعنا في هذه المناصب.

-حقا، كيف عرفت؟

-لقد تحدثت معه البارحة.

- وهو قد استجاب بسرعة، نحن نحسدك أيتها المدللة.

- لكنه يعبث بي كيف يجعل مني طباخته وهو يعرف أنني لا أفقه شيء في الطبخ.

- هيا كفاك دلالا نحن معك وسوف نساعدك في الطبخ لذا لا تقلقي من هذا الجانب، وأيضاً ألم تكوني تفكرين به كل الوقت وتريدين لقاءه؟ ها هو الآن سترينه كل يوم، بل وحتى ستطبخين له، آه كم هذا جميل.

- هيا هيا يكفيكما استهزاءً بي ولتبدآ العمل، أما أنا فسأذهب لأشاهد التلفاز، فلا عمل لي حتى يأتي وقت العشاء.

مضت خمسة أشهر منذ استلمت الإدارة هنا وكل شيء بخير الأعمال هنا مزدهرة والمداخيل تتزايد باستمرار والسفاح راضٍ تماماً، بل وفخور أيضاً، كل الأعمال هنا عادية: استيراد وتصدير وتسويق، تجارة في تجارة ولا شيء يدعو للشبهة، لكن من وقت لآخر تكون هناك شحنات غير طبيعية، يتم عقد اجتماع لأعضاء الطاولة الثمانية، أنا وأشرف وستة آخرين، كنا موزعين من الحدود الشمالية إلى الغربية للبلد، في أهم نقاط المبادلات التجارية، سبعة منا بقرب الموانئ المتواجدة على طول الشريط الساحلي وثامننا يتمركز في ولاية تلمسان قرب الحدود الغربية.

عندما تكون صفقة كبيرة أو عمل مهم، يتم استدعاؤنا جميعا من طرف السفاح في أحد المدن الداخلية، ونقوم بمناقشة العمل ونتفق على من منا سيقوم به، أنا توليت الكثير من عمليات التهريب عن طريق شركتي وبواسطة خططي الجديدة في المجال، تمكنت من مغالطة الدولة في عديد المرات، وكانت كل عملياتي ناجحة ولا أخطاء فيها وهذا ما جعل السفاح يعتمد علي ويعينني لتولي أكبر وأخطر العمليات، والمتمثلة في تهريب المخدرات والأسلحة، كيف؟ حسنا سأطلعكم على أفضل طريقتين كنت أنتهجهما في التهريب من دون إثارة الشبهات.

كنت أنقل الأسلحة عبر شاحنات شركتي ثم الباخرات بسهولة وذلك بتفكيك كل سلاح على حدى ووضعه داخل ألعاب آلية ثم نعيد إغلاقها بإحكام، الألعاب الآلية تحتوي على الكثير من الأجزاء المعدنية لذا لم تكن مشكلة عند المرور أمام الكاشف.

أما المخدرات وبالتحديد (الكوكايين) وهو باهظ الثمن والمصدر الرئيسي للأرباح، فوجدت له طريقة آمنه للنقل أيضا، كنا نجلب كميات هائلة من حلوى البيض المشهورة نقوم بفتح البيضة بعناية ونستخرج الكبسولة الموجودة بداخلها نملؤها بالكوكايين ثم نعيد غلقها بدقة بالغة، وبهذا يتم الشحن والنقل براً وجوا من دون أي شبهات أو مشاكل.

مؤخراً حصلنا على صفقة جديدة وهي تخص الذهب وقد كانت من نصيبي، فأنا الآن متخصص في تهريب الذهب، لا أدري لما ولكن أشعر ببعض الراحة لأنني أتولى أمر الذهب بدل الأسلحة والمخدرات رغم أنه في كل الحالات يبقى التهريب تهريبا مهما كانت السلعة، هذه المرة وجدت طريقة جيدة لتهريب الذهب من دون عناء، كان يُنقل الذهب من الجنوب إلى موانئنا عبر الشاحنات الخاصة بالشركة والمعنية بنقل الحبوب، كنا نضع الذهب في هيكل الشاحنة بعد أن نستبدل بعض القطع المعدنية بأخرى بلاستيكية من أجل الحفاظ على نفس وزن الشاحنة عند شحنها بالذهب(عشرات الكيلوغرامات منه) ، عند وصول الشاحنات إلى الشمال وإلى الساحل تقريباً قرب الميناء، نقوم بإفراغ الذهب وتقسيمه على مجموعة من طائرات الدرون (طائرات بدون طيار) التي طلبتها مؤخراً من أجل هذا العمل تحديداً، كنا نضع بضع كيلوغرامات على كل طائرة وننتظر الباخرة لتبدأ في شق طريقها في البحر، وبعد قطعها مسافة معتبرة وتبتعد عن الأنظار، يشغل رجالنا المتواجدون على ظهر الباخرة الطائرات من دون طيار ويقودونها عن بعد حتى تهبط على ظهر السفينة

وتكمل الرحلة عليها، وعلى حدود البلد الآخر يقومون بتشغيل الطائرات مجدداً وإطلاقها ليستقبلها شركائنا في الطرف الآخر وتتم عملية النقل بنجاح، ليست هذه الطرق الوحيدة التي انتهجتها فلا تزال هناك طرق أخرى كثيرة كأن نلصق السلع أسفل ظهر الباخرة ليتم النقل تحت البحر بأمان أيضاً، حسناً لنتوقف هنا .

ثمانية عشرة، كان عدد الاتصالات التي وجدتها على هاتفي بعد عودتي من تماريني الرياضية، يا إلهي إنها شيماء، انتهى أمري، اتصلت بسرعة قبل أن أزيد الطين بلّة، أسمعتني وابلا من التوبيخيات ثم أضافت:

- حفل تخرجي بعد أسبوع سوف تأتي قبله بثلاثة أيام على الأقل لإنجاز بعض الأعمال معي قبل الحفلة.

- وهل هي حفلة زفافك حتى تحتاج إلى كل هذا الوقت للتجهيز لها؟ أنا مشغول جداً يا بنت لن أعدك بشيء لكن سوف أحضر إلى حفلتك.

- هذا إن كنت تريد أن أقلب الدنيا فوق رأسك، سأقفل الخط أراك هنا.

أقفلت الخط في وجهي معلنةً عن أن كلامها لا يمكن نقاشه، وما علي سوى الاستجابة لها، فكرت قليلاً، حسناً إنها فرصة جيدة، بضعة أيام قريبا من جحر السفاح، هذا جيد فهنالك ما يجب أن أتحقق منه .

***

أعترف أنني أعيش أجمل أيام حياتي، حتى بعد كل ما حدث معي، نعم فأنا أعيش مع آسر في بيت واحد وأعتني به جيداً، أنتظره طوال اليوم، وعندما يأتي متأخراً أوبخه وأقدم له الطعام ويأكل من يدي، آه نعم أنا الوحيدة على هذا الكوكب التي تستطيع توبيخ آسر من دون أن تخشى على حياتها، على الرغم من أنه أحيانا يرمقني بنظرة مرعبة تكاد توقف دقات قلبي، أشعر بأنني زوجته، آه لطالما حلمت بذلك، ماذا أقول؟... كم أنا غبية.

المهم ازدهرت أعمال آسر كثيراً وارتفعت أسهم شركاته، وهذا ما يُتوقع منه، فلطالما أبهرنا بذكائه غير العادي.

مؤخرا أصبح يتأخر كثيراً في العودة إلى منزله، إنه يقول لديه أعمال كثيرة، لكن أنا أشك في تصرفاته التي أحفظها جيداً، إنه يخطط لأمر ما أو مصيبة ما، لا أدري ماذا قد يفعل هذا الرجل ولكن أنا أثق به على كل حال، وأنا بخير طالما هو موجود بجانبي، اليوم أتى في وقت مبكر على غير العادة وجمعنا نحن البنات الثلاثة والعم صفوان وقال إنه لن يكون موجودا لأسبوع كامل لذا يمكننا أخذ إجازة، كانت هذه أول مرة نحصل فيها على إجازة، شعر الجميع بالسعادة ما عدا أنا، فكيف سأبتعد عن آسر؟ فقلت له خذني معك أرجوك، فأجاب بجدية :

- يوجد طباخون حيث أنا ذاهب لذا لا داعي لقدومك.

بدا جادا جداً لذا لم أشأ أن أثير غضبه، فكتمتها في قلبي وسكتُّ.

****

ألو... أين أنت أيتها المشاغبة؟ الدنيا مقلوبة عليك هنا؟ أهربت من الحراس مجدداً؟ متى تنضجين؟ يا إلهي أنت ستتخرجين وسنزوجك قريبا وما زلت تتصرفين كالأطفال!

- آه الدب، أنت أتيت؟ تعال أنا في السوق الرئيسي وسط المدينة.

- حسنا انتظري عندك ولا تتحركي سآتي لأربيك قليلا.

- هيا تعال أنتظرك.

هل أخبرتكم كم أكره الأسواق؟ إنها أكثر الأمور التي كرهتها في حياتي، هي كذلك منذ أيام التسوق مع أمي وأخواتي فهن يقضين ساعات طوال في التجول بين المحلات من دون كلل أو ملل؟ آه كم اشتقت إلى عائلتي.

التقيت مع شيماء وقضينا ساعات طويلة أيضا في التسوق واشترت كميات هائلة من الملابس والإكسسوارات وجعلتني أحملها كلها، عدنا إلى المنزل وقد جهزوا لي غرفة لأقيم فيها، أنا لم أتوقع كل هذا الحظ، أنا سأنزل في عقر دار السفاح، إنها فرصة مثالية لمحاولة الكشف عن ما يخفيه السفاح ومن هو صاحب هذا اللقب، لدي شكوكي الخاصة وسأتأكد منها في هذه الحفلة أو على الأقل سأجد طرف الخيط، كنت أدرس تحركات أعضاء الطاولة كلهم طوال الوقت، أنا الآن أعرف كل نقاط ضعفهم وطرق عملهم وأستطيع إسقاطهم متى ما أردت، ولكن هناك مشكلة مع اثنين، أحد أعضاء الطاولة يلقب بالجنرال والثاني أشرف، وكلاهما يعملان في الجهة الشمالية الغربية للبلد، حاولت التوصل إلى طبيعة عملهما لكن بلا جدوى كل ما عرفته أنهما يعملان بالتناسق مع بعضهما كما أن

شحنتهما القادمة من الجنوب في أغلب الأحيان لا تتجاوز الميناء، إنهما يقومان بعمل فوق مستوى البقية، ويجب أن أعرف ما هو، أيضا هناك أمر هو الأهم يجب أن أفصل فيه في الحفلة بعد يومين.

مر الوقت بسرعة خلال اليومين الذين سبقا الحفلة لم أصل إلى نتيجة خلالهما فشيماء لم تترك لي وقتا لأتنفس فيه، فهي ملتصقة بي طوال الوقت وتأخذني معها إلى كل مكان، لكني تمكنت من القيام بأمر مهم وبالغ الخطورة، لقد دسست جهاز تنصت في مكتب العمل الموجود داخل الفيلا والذي كنت قد دخلته مرة من قبل.

السادس عشرة من شهر يونيو سنة ألفين وثلاثة عشر (ليلة الحفلة)، وصلتنا رسالة من السفاح ليتم الاجتماع بعد يوم من الحفلة، واضح أن هناك عملية مهمة سيتكفل بها أحدنا، لا يهم الآن يجب أن أركز على الحفلة، أنا متأكد أن السفاح سيأتي وكل ما علي فعله هو مراقبة رد فعل كل أفراد العائلة اتجاه كل الحضور، في الصباح ذهبنا إلى الجامعة من أجل حفل التخرج هناك، وكانت الأجواء جميلة رغم الخوف من حصول أي اعتداء على عائلة السفاح الذي يملك الكثير من الأعداء، حسنا لأعترف لم تكن الأجواء جميلة أبداً فقد قتلني الملل، وكل ما كنت أفعله طوال الوقت هو الجلوس والتصفيق كالأبله.

مر كل شيء بخير هناك وفي المساء أُقيمت الحفلة في الفيلا، وقد حظر الكثير من رجال الأعمال، من بينهم أربعة من الطاولة والجنرال معهم، راقبت كل شيء وكل التحركات ولا شيء يدعو إلى الريبة وهذا ما أكد شكوكي لا وجود للسفاح، أو بصيغة أدق السفاح هو أحد أعضاء

الطاولة، وبصيغة أكثر دقة السفاح هو أحد اثنين: الجنرال أو أشرف.

تتبع الجنرال أمر صعب جداً أو مستحيل لكن أشرف تتبعه أسهل، أردت الحصول على حاسوبه ومعرفة ما يخفي فيه، فهو يأخذه معه إلى كل مكان، وكان علي أيضا معرفة أين يذهب وأين يقوم بتفريغ الشحنات التي لا تنتقل إلى الطرف الآخر من البحر، وإن كانت ستنتقل فهي تنقل بعد عدة أيام من وصولها إلى الشمال وبطريقة غير طبيعية، بعد انتهاء الحفلة طلبت مني شيماء أن نخرج لنتمشى قليلا، فقلت في استغراب:

- أليس الوقت متأخراً؟ يمكننا أن نتمشى غداً.

لكنها عنيدة، لذا خرجنا على كل حال.

خرجت مع شيماء والتقيت مع أشرف في الخارج واقفا يدخن سيجارته مع بعض أفراد العائلة الذين لم يغادروا حتى الآن، سأل إلى أين، فأخبرته أن يسأل أخته، لأنني لا أعرف إلى أين تريد الذهاب، بدا أنه غير مهتم، وقال حسنا لا أرغب في سؤالها فهي لن تقول الحقيقة على كل حال، وقفت قرب سيارتي فتشت في جيبي عن مفتاح السيارة فلم أجده، فنظر إلي أشرف وسأل عن الذي ضيعت، فأخبرته أنني نسيت مفتاح السيارة في مكان ما في المنزل، فقال: لابأس خذ سيارتي وألقى إلي بمفتاحها، وقال لا تتأخر واعتن بالعروس جيدا .

بالطبع كان مفتاح سيارتي في جيبي ولكني أردت سيارة أشرف، إنها تذهب إلى أماكن سرية يجب أن أعرفها، لذا في وقت لاحق وضعت في أسفلها جهاز تعقب لكي أعرف كل تحركاتها.

كنت سعيدا جداً لاستغلالي هذه النصف فرصة التي أتيحت لي، وبهذه الدقة في وقت وجيز ومن دون تخطيط مسبق، وصلنا قرب الميناء فطلبت مني شيماء أن أوقف السيارة ونتمشى قليلاً، ففعلت أوقفت السيارة أعطيت المفاتيح لموظف موقف السيارات ليركنها، ثم قالت أنها تريد تناول المثلجات، فطلبت منها الجلوس على كرسي خشبي طويل مقابل البحر، وذهبت إلى عربة متنقلة قريبة تبيع المثلجات فطلبت المثلجات وأخذتها وعدت إلى شيماء...

جلست بجانبها قدمت لها المثلجات، نظرت قليلا ثم تكلمت بصوت هادئ :

- كيف هي مدينة وهران؟ أهي جميلة حقا كما يقال عنها؟

-أولم تزوريها من قبل؟

- بلى ولكن كنت صغيرة حينها ولا أذكر جيدا.

- حسنا إنها حقا جميلة جداً ربما بنفس مستوى مدينتك ولكن أوسع قليلا.

- همم تعجبك إذن، وتشتاق إلى العودة إليها؟

-لست مشتاقا ولا أعرف معنى الشوق ولكن أنا يجب أن أعود من أجل العمل.

حقاً لا تعرف معنى الشوق؟ إذاً لهذا السبب أنت لا تسأل عني ولا تتصل أبداً، أتعرف كم من مرة أتفقد هاتفي في اليوم لأرى إن كان هناك مكالمة فائتة من الدب، أتعلم كم من مرة مرضت فيها فانتظرت زيارتك لأنني اعتقدت أن الدب سيأتي من أجلي كما يفعل أحبائي والذين يهمهم

أمري ويقلقون علي؟ أتعلم كم من مرة أردت زيارتك هناك ولكن منعني رجال أبي؟

- حقا؟ ولم كل هذا؟

-لأنني أعرف الشوق، لأنني أشتاق إليك ...لأنني أحبك أيها الأحمق.

عم الصمت والهدوء في المكان بعدما قالته، الحقيقة أنا لم أتفاجأ من ما قالته بل كنت أعلم بأنها ستفعل، فقلت بنبرة صوت حاولت أن أبدي فيها حزني:

-شيماء أرجوك لا تفعلي.

-نعم أنا أحبك أيها الدب ولا أستطيع تحمل غيابك أعلم أن قلبك قاس لكن أرجوك دعه يلين من أجلي.

-شيماء هيا نعود كفاك سخافة ما بك أنت؟ قلب وحب ودراما... أنا لا أعترف بهذه الأمور السخيفة.

نهضنا من مكاننا وبدأنا نتمشى عائدين إلى السيارة كانت شيماء مطأطئة رأسها وتبكي بهدوء، كسر ذلك قلبي فأنا لا أتحمل رؤية فتاة تبكي، كنت أنوي استغلالها من البداية، لكنها فتاة بريئة ولا ذنب لها فيما يفعل السفاح توقفت واستسلمت لدموعها فلم أعد أحتمل، استدرت إليها، فرفعت إلي رأسها لترمقني بتلك العيون الخضراء القاتلة وقد ترقرقت بالدموع، آه وكأنني لأول مرة أنتبه لجمال هذه المخلوقة، كانت خصلات شعرها الأحمر تتمايل متناغمة مع نسمات الهواء الدافئ وهي كل ما كان يتحرك في المكان، فقد تسمر كل شيء حتى جسدها الأنثوي الرشيق بعد التفاتي إليه، خدود ممتلئة متوردة وشفتان صغيرتان مرسومتان بعناية، حاجبان دقيقان، ورموش مزروعة بدقة اصطّفت حول عينيها الساحرتين، كانت هذه

هي شيماء التي انغرزت نظراتها المنكسرة في قلبي انحنيت إليها وضممتها إلى صدري وقلت بنبرة صوت دافئة:

- آه يا جميلتي، أنا مستعد لقتل كل من يتسبب في نزول دمعة من عينيك، فماذا أفعل بنفسي بعد أن تسببت بنزول كل هذه الدموع؟ هيا توقفي عن البكاء فوالله بكاؤك يدميني.

لم تتوقف وإنما مدت يديها إلى خصري واحتضنتني بقوة وغرست وجهها في صدري، حتى شعرت بدموعها وهي تبلل قميصي، هيا شيماء أرجوك توقفي أنا أعلم أنك تحبينني، لكن انظري أين أنا وأين أنت، علي العودة إلى العمل بعد يوم أو يومين ولا أستطيع البقاء معك هنا.

-أحقا هذا كل ما في الأمر؟

-نعم، هيا اسكتي الآن وكفاك نحيبا مثل الأطفال، ثم انظري إلى قميصي لقد مسحت وجهك الاصطناعي عليه وأنا الذي كنت أعتقد أنك جميلة من دون مساحيق تجميل أيتها البشعة لقد ظهرت على حقيقتك .

بدأت تضحك أخيراً بعد أن ضربتني بقبضتها على صدري وبدأت في الدفاع عن جمالها.

في صباح اليوم التالي ذهبت أنا وأشرف إلى اجتماع الطاولة وقد حضر ستتنا فقط بدل الثمانية هذه المرة، فقد غاب فضيل درنجي بارون الحدود الغربية وفتحي شواظ بارون المنطقة الوسطى المتمركز في العاصمة، بدأنا الاجتماع وكان يبدو أنه سيتم التكفل بعمليتين في غاية الأهمية كانت شحنة مخدرات وأخرى شحنة المادة x هذا ما يسمونها وهي شحنة يتكفل بها فقط الجنرال وأشرف

ونحن البقية نهتم بالشحنات الأخرى، وهذه المرة كلفني السفاح بشحنة المخدرات رغم اهتمامي بمادة الذهب فقط في الأشهر الأخيرة، وقرر هذا من دون أن يترك المجال لأعضاء الطاولة ليقرروا فيما بينهم كما جرت العادة، وكأنه يريد عودتي إلى مدينة وهران بأسرع وقت بدل البقاء هنا لأيام إضافية، أيمكن أنه يشك بأنني أحقق في أمره؟

موعد العملية بعد ثلاثة أيام لذا يجب أن أعود غداً وأقوم تجهيز الأمور هناك، لذا يجب أن أترك هنا من يكمل عملية التحقيق بدلا مني، لا وقت لدي لأنتظر فرصة أخرى فعلى ما يبدو أن السفاح قد بدأ بكبحي بالفعل لذا يجب أن أترك خلفي من يكون عيني التي ترى وأذني التي تسمع، أحتاج إلى شخص أثق به، شخص متميز بذكاء وقدرات غير عادية، نعم أنا سأستعين به (عبد الوهاب فوقة) الذي أناديه عبدو، لطالما فعلنا كل شيء معاً لقد كنا كالشمس والظل، فأينما طلت الشمس وجدت الظل لن أحدثكم عن ما هو قادر على فعله ولكن اعلموا أنه الشخص الوحيد الذي يستطيع التضحية بحياته من أجلي، زارني مرة في السجن وطلبت منه أن لا يفعل مجدداً كما فعلت مع عائلتي، فأنا أردت فصل اسم الدب تماماً عن اسم آسر، فلا مجال لخلق نقاط ضعف.

حسناً إذا عاد الدب إلى مدينة وهران فسيخلفه دب آخر هنا، ولكن دب يعمل في الخفاء.

لا وقت لي لأضيعه، إنها الثانية ظهراً ولم يبق لي إلا يوم واحد ويجب أن يأتي عبدو لأسلمه أدوات التجسس التي وضعتها في السيارة والمكتب وبعض الأماكن في المنزل والشركة، يجب أن أطلعه على بعض التفاصيل ليبدأ التتبع

والتحقيق، أنا لم ألتق بعبدو منذ أيامي الأولى في السجن وكل ما أعرفه أنه رجل من القوات الخاصة يعمل في مدينة البويرة، مضت أكثر من سنة منذ قال لي هذا، أرجو أنه مازال يعمل هناك ولم يتم نقله، لا يوجد وسيلة للاتصال به ولا أملك رقمه، هناك طريقة واحدة فقط لأصل إليه، دخلت إلى الإنترنت وفتحت محرك البحث غوغل، وبحثت عن أسماء الثكنات العسكرية المتواجدة في مدينة البويرة، وقد كانت ثلاثة فقط وواحدة منها هي للقوات الخاصة، أخذت الاسم وتوجهت إلى مقر الدرك الوطني في مدينة عنابة، أخبرتهم بأنني عسكري في إجازة وصلت للتو ونسيت وثائقي وهاتفي في الثكنة وأحتاج إلى إجراء اتصال من أجل التحدث مع صديقي هناك ليجلبهم لي معه فهو سيلحق بي غداً، بدا الدركي متفهم جداً فعلاقة الدرك بالجيش جيدة جداً هنا، طلب مني مرافقته ودخلنا إلى غرفة كُتِب على بابها مكتب الإشارة، هناك تواجدت أجهزة مختلفة لم أرها من قبل هواتف وكابلات في كل مكان، أجهزة تصفية الصوت وغيرها، حمل الدركي الهاتف وبدأ في الاتصال، يتصل بمكان ويحولونه إلى مكان آخر حتى تم تحويله إلى الثكنة التي نريد.

رد على الاتصال عسكري من العاملين في الثكنة المقصودة فطلبت من الدركي أن يمنحني الخط، تحدثت إليه وأخبرته بسرعة من دون أن أترك له وقتا ليسألني أو يتساءل حتى لا يكتشف أمري، قلت له أنا آسر قريشي محول جديد عندكم وقد خرجت في إجازة ونسيت أغراضي ووثائقي وحتى هاتفي، أريد أن أتكلم مع صديقي عبد الوهاب فوقة في عجالة لو سمحت، تذمر العسكري وقال

أنتم المحولين الجدد دائماً مهملون، ثم طلب مني الانتظار حتى يرى أين يتواجد ضالتي ويحول له الخط، انتظرت بضع دقائق كنت أدعو فيها بأن يكون عبدو موجود هناك وبالفعل كان موجودا وأجابني:

- آسر !

- عبدو؟ آه الحمد لله أعطني رقمك بسرعة وسوف أتصل بك.

- حسنا دون عندك صفر ستة...

أقفلت الخط شكرت الدركي وخرجت مسرعاً، أخرجت هاتفي واتصلت به، كان يريد أن يسأل الكثير لكنه شخص فطن وفضل السكوت والاستماع لأن الأمر مهم بلا شك، طلبت منه أن يأخذ إجازة ويتحرك من فوره، أو كأقصى حد يتحرك صباح الغد ليلحق بي في عنابة الأمر ضروري.

فقال أنه سيفعل وسيتصل فور وصوله.

عدت إلى الفيلا لتمسك بي شيماء وأقضي بقية اليوم في التجوال معها، كان ذلك مناسباً لي لأبتعد عن أشرف ورجال السفاح ولا يرتاب مني أحد.

في صباح اليوم التالي تلقيت الاتصال الذي أريد، إنه عبدو وقد وصل وهو ينتظرني في محطة النقل البري، ذهبت مسرعاً إليه، وتوقفت قريبا منه، اتصلت به ووجهته عبر الهاتف حتى وصل إلى سيارتي وصعد، وانطلقت بالسيارة وركنت قرب الشاطئ في مكان هادئ بعيد عن الأنظار، نزلنا من السيارة وعانقت صديقي الذي لم ألتقه منذ أكثر من سنة، أخيرا شخص له علاقة بآسر، أخرجت حقيبة من صندوق السيارة ثم جلسنا خلف أحد الصخور الكبيرة، أخبرته بكل شيء بكل ما حدث معي منذ دخولي إلى

السجن وحتى خروجي منه وكيف خرجت، وكيف أصبحت رجل السفاح وكيف تمت ترقيتي ولقائي مع رجل المخابرات والصفقة التي عقدتها معه، وهدفي الآن وشكوكي واستنتاجاتي.

فقال من دون تردد:

- آسر أنا معك، أنا معك حتى تسقط السفاح وإمبراطوريته، أنا معك حتى تسترجع حياتك وحريتك وتعود إلينا. - نعم لذا سأطلعك الآن على كل المعلومات التي لدي على أن تكمل أنت التحقيق، ستكون عملية شحن المادة x بعد يومين وربما ستكون هنا في اليوم الثالث، يجب أن لا تضيع الفرصة، أما الآن فسأغادر وأتركك خلفي لتهتم بكل شيء، استأجرت لك منزلا وسيارة وهما في هذا العنوان قريبا من الميناء، واتصل بي لتطلعني على التطورات كلما وجدت أمرا مهما، والأفضل أن تتصل مساء فقط، فأنا محاط برجال السفاح طوال اليوم أما مساءاً فأكون حراً، افترقت عن صديقي عاهداً له بك شيء ومعلقا عليه كل آمالي.

توجهت إلى الفيلا أخذت حقيبتي بهدوء وودعت أشرف وانسللت قبل أن تمسك بي شيماء وتصدع رأسي.

وصلت ليلاً إلى منزلي في مدينة وهران، ثم اتصلت بالثلاثة سفيان خالد وجهان وطلبت منهم الحضور إلى منزلي لبدأ الترتيبات من أجل العملية، فلا وقت لدينا لنضيعه، كانت ندى هناك، استقبلتني وكأنها تنتظرني منذ عشرة سنوات، وكان ذلك شعورا جميلا حقاً أن تجد من يستقبلك في المنزل حتى وإن كان ليس ذلك المنزل الذي طالما حلمت بالعودة إليه .

"العشرين من شهر يونيو موعد العملية"، تلقيت اتصالا في مكتب شركتي، وقال المتصل إن شاحناتنا قد تم توقيفها من طرف رجال الشرطة وهي الآن تحت التفتيش!

إذن شكوكي كانت صحيحة هناك من يريد الإطاحة بي، أو إزاحتي، حسنا أنا لست من النوع الذي يترك مجال للشك فقد حسبت حساب لهذا، فالبارحة بعد الانتهاء من وضع خطة التهريب مع رجالي الثلاثة، لحقت بجهان إلى منزله القريب حيث ينزل وكلمته على انفراد، ورد في خطتنا من قبل أن يتولى هو أمر نقل الشحنة من الجنوب الغربي للبلد حتى مستودعاتنا المتواجدة على حدود مدينة وهران وكان مقرراً أن تنطلق القافلة على الساعة الثالثة فجراً فطلبت منه بعدما لحقت به أن يأخذ معه ثلاث شاحنات زيادة عن العدد المقرر وهو أربعة، وأن يرسل أول أربع شاحنات نظيفة من دون شحنتنا في الوقت المحدد، أما الثلاث الإضافية فسيتم وضع شحنتنا فيها، وتنطلق بعد ساعتين من الموعد، لقد حاصرت جهان بهذا الطلب، فقد طلبت منه أن لا يخبر أحدا حتى سفيان وخالد، هكذا لن يستطيع أن يقوم بأي شيء في حالة ما إذا كان يتحرك بأوامر من السفاح، فهو سيعلم إن كُشف أمر العملية بعد هذا التعديل، فسيقطع الدب رأسه فهو الوحيد من يملك المعلومات الصحيحة.

نجوت هذه المرة وخرجت من المصيبة التي كانت ستحل بي كالشعرة من العجين، لكن إلى متى سأنجو؟ يبدو أن أحدهم قد أعلن الحرب علي، وأعتقد أنني أعرف من هو، لكن لست أنا من يدخل حربا ويخرج خاسرا منها، أنا سأقلب الموازين وأخرج غانماً بإذن الله.

ستكون العمليات القادمة أكثر خطورة من دون شك أملي الوحيد الآن هو عبدو، يجب أن يكشف كل شيء بأسرع وقت ممكن ويقدم لي الأدلة اللازمة لصيد أخطر فريسة على الإطلاق.

عدت في المساء إلى المنزل بعد يوم شاق تعرضت فيه للكثير من الضغوطات، أردت فقط أن أرتاح بسلام، وأنتظر اتصال عبدو ليطلعني عن الأخبار عنده وكيف جرت الأمور وأي أسرار قد اكتشف؟ دخلت إلى البيت فوجدت ندى في انتظاري كالعادة وقد كان وجهها شاحباً، بل وكان يبدو مسوداً من الغضب!

-ما بك ندى؟

-لديك زائر، ويبدو أنه ليس مجرد زائر عادي، كما ويبدو من الحقائب التي جلبها معه أنه سيبقى هنا طويلا.

- ماذا تقصدين، تحدثي مباشرة... وفي تلك الأثناء خرجت من الحمام بجسدها النصف عاري الذي اكتفت بلفه بمنشفة بيضاء وممسكة بأخرى تجفف بها شعرها الأحمر المميز.

شيماء! ماذا تفعلين هنا؟ التفتت إلي وصاحت آه الدب لقد عدت أخيرا؟ وانطلقت تهرول باتجاهي لترتمي على صدري وتعانقني، تسمرت في مكاني ولا زلت لا أصدق أن هذه المجنونة لحقت بي إلى هنا، ثم فجأة تذكرت أحدهم، أزحت بنظري قليلا إلى اليسار فوجدتها تنظر بنظرة صقر سينقض على فريسته، تلك أول مرة في حياتي أخاف من ندى، آه أرجوك اهدئي وسيطري على نفسك، نظرت ندى إلى عيني نظرة ملؤها الغضب والتوعد، ثم انسحبت

واختفت بين الغرف، شعرت بالراحة قليلاً وأرجعت انتباهي إلى الفتاة النصف عارية التي تعانقني.

- أجيبي أيتها المجنونة ما الذي أتى بك إلى هنا؟

- ألم تقل أنك لن تستطيع البقاء معي هناك؟ حسنا أنا أتيت إليك الآن ولا يمكنك الهروب مني.

- أنا لا أمزح؟

- يبدو بأنك لست سعيدا برؤيتي، ولكني سأبقى هنا رغماً عن أنفك، أنا حصلت على شهادة إدارة الأعمال وأتيت إلى هنا للعمل في أحد شركاتك من أجل اكتساب الخبرة فقط، وانتظر عندما أحصل عليها كيف سأنشئ شركتي الخاصة وأتفوق عليك.

- آه ألا تملين من إزعاجي؟

- تحملني قليلا، عليك أن تعلم أيضا أنني وجدت غرفتك هي الأجمل هنا لذا أنا سأنام فيها، يمكنك أن تشاركني الغرفة وإلا فابحث عن غرفة أخرى كما تريد فأنت حر.

- يا لك من حقيرة، لا تحلمي بأن أشاركك الغرفة أبداً.

- آه صحيح لم تعجبني خادمتك أبداً فلتطردها ولتأتي بأخرى.

- لا شأن لك بالخدم هنا، وإذا كنت سأطرد أحدهم فسأطردك أنت لذا ابقي عاقلة.

- همم توقعت إجابتك هذه يا عديم المشاعر، حسنا من يهتم.

***

أي عالم هذا الذي أقحمت نفسك فيه يا آسر !مخدرات حبوب أسلحة! ما كل هذا وذاك لكن أنت ستخرج من هنا أليس كذلك؟ نعم سوف أحرص على هذا.

قضيت اليومين المنصرمين في تتبع المدعو أشرف وأراقب كل تحركاته، أخذت صورا له في كل مكان يذهب إليه، لقد زرع آسر أجهزة تنصت في أهم مناطق تواجده: مكتب شركته ومكتب العمل الموجود في منزله وحتى غرفة نومه، وضع أيضا جهاز تعقب في سيارته، مما سهل علي المهمة أكثر، ركزت طوال الوقت في محاولة اقتناص أي معلومة تسبح في الأرجاء وقد اقتنصت الكثير بالفعل، علمت كيف ستتم عملية نقل المادة(x) من خلال تحدثه عبر الهاتف في مكتبه مع شخص اسمه الجنرال، سيتم النقل عبر حاويات معدّلة نصفها العلوي مملوء بقطع الخردة أما النصف السفلي فسيكون للمادة (x) علمت أيضا مكان تفريغ الشحنة، إنه مستودع يبدو مهجورا خارج المدينة، فقد ذهب إليه أشرف ثلاثة مرات قبل العملية، إذن هنا سيتم تفريغ الشحنة، لم يكن مكانا عاديا، فقد انتشر الحراس هنا وهناك ولاحظت زيادة عددهم مع مرور الوقت، كانت توجد ثلاثة مداخل على بعد بضعة أمتار من المدخل الرئيسي للمستودع، كانت مداخلا على شكل حفر في الأرض وجدت في ثلاث زوايا مختلفة من المستودع، واضح جداً أن هناك أسرارا تكمن أسفل هذه الأبواب الغريبة، والتي يجب أن أمر من خلال أحدها ولا أخرج قبل أن أكتشف سر المادة (x).

اتصلت بآسر وأخبرته عن التطورات وجهزت نفسي لدخول المستودع، أخذت معي كلبا صغيرا، اقتربت من

أحد المداخل كان الأبعد نسبياً عن المستودع وعليه حارس واحد، وضعت الكلب في مكان قريب في العشب اليابس وتركته والتففت حول الحارس بهدوء، بدأ الكلب في التحرك وإحداث بعض الأصوات فارتاب الحارس وسحب مسدسه وتحرك ناحية الكلب، تاركاً الباب خلفه من دون حراسة، فانسللت إلى الداخل بحذر، تحركت عبر النفق المظلم لأصل إلى نهايته بعد لحظات، وصلت إلى مكان لا يمكن التخيل أنه يمكن بناؤه هكذا في باطن الأرض، لقد كان سجنا أو مستشفى أو مزيجا من الاثنين، زنازين على امتداد محيط البناء وطاولات مستشفيات في الوسط وأجهزت عمليات، صناديق في كل مكان ومعدات جراحة !يا إلهي أتمنى أن لا يكون ما يدور في رأسي حقيقيا، لم تكن كل الزنازين خاوية لذا تحركت إلى أقرب واحدة بحذر وحاولت أن أتكلم مع من بداخلها، كانوا ثلاثة شباب وامرأة كلهم ذوي بشرة سمراء، لم تكن لغتهم مفهومة فقد كانت شبيهة باللغة الفرنسية ولكن مشوهة كثيراً، لم أستطع فهم كلمة منها، أشرت لهم بيدي في محاولة الاستفسار عن ما يحدث هنا، فبدأوا يشيرون بأيديهم وفهمت منهم أنه يتم تقطيعهم على تلك الطاولات، وتوضع أعضاؤهم في الصناديق.

سمعت بعض التحركات فاختبأت في أحد الزوايا أنتظر وصول المادة (x) والتي ستصل بعد قليل، وأنا الآن لدي فكرة واضحة عن ماهيتها، وبالفعل بعد وقت وجيز دبت الحركة في المكان...

دخل بعض الحراس في عجالة وبدأوا بفتح الزنازين ودخل خلفهم عدد كبير من الرجال والأطفال والنساء في

حالة مزرية، ملابس ممزقة ومغبرة ووجوه شاحبة، مكبلين بالحبال مع بعضهم البعض على شكل سلسلة، كان عدد كبير جداً ربما حوالي المائة أو يزيدون، وبدا من ملامح أغلبهم أنهم أجانب، أدخل الجميع إلى الزنازين ثم خرج أغلب الحراس ودخل بعدهم أشرف الذي صرت أحفظ ملامحه، ودخل معه رجل في أواخر الخمسينات ببدلة أنيقة يبدو ذو هيبة، أعتقد أنه الجنرال الذي أخبرني عنه آسر، وقال هذا الأخير لأشرف إن عدد الطلب قد بلغ ذروته ويجب أن نبدأ بالتسويق هذا الأسبوع، فأجابه أشرف وقال أنه تحدث مع الأطباء وسيكونون هنا بعد ثلاثة أيام، بدا على وجههما الرضا وهمّا بالمغادرة، ثم توقف الرجل الكهل وقال كلاما كان يجب أن أسمعه، كلام اختصر علينا الكثير...

بعد خروجهما اتصلت بآسر مباشرة وأطلعته على كل شيء ثم أضفت:

-آسر أنا أريد إخراج هؤلاء البشر من هنا.

-ماذا هل جننت؟ لالا لن تفعل هذا لن نخاطر أبدا.

- لما لا نتصل بالشرطة ونتركهم يتولون الأمر من دون أن نخاطر؟

-لو كان الأمر بهذه البساطة ما كانت المخابرات لتلجأ إلي، واضح جداً أنهم أكبر وأقوى من الشرطة، وحتى ولو تدخلت الشرطة وأنقذت هذه المائة، فهم سيجلبون مائة أخرى وإلى مكان آخر، وسيتكرر هذا في كل مرة، وتخيل كم من المئات سيُنحرون.

- آسر ...أنا لن أترك هؤلاء المساكين خلفي، ومهما قلت فأنت لن توقفني، أنا اتخذت قراري بالفعل، فقط أردت إخبارك ولست أبحث عن رخصة قبولك .

- أرجوك يا عبدو لا تفسد كل شيء.

-لا تخف أنا واثق من أنني سأخرجهم من دون أي خطأ ولن أوقعك في أي مشكلة لذا استرخي وتابع تطور الأحداث.

-اسمع أعلم أنك عنيد ولن تغير رأيك، ولكن على الأقل افعل شيئا من أجلي.

-حسنا سأفعل أي شيء.

-يجب أن تأجل عملية الإنقاذ هذه 24 ساعة، وعلى كل حال لن يأتي الأطباء إلا بعد ثلاثة أيام أليس كذلك، لذا ستتراجع الآن وتقوم برسم خطة محكمة للإنقاذ وتترك لي أنا وقتا لأخطط أيضاً.

-حسنا لك هذا، 24 ساعة، همم أحتاج شيئا أيضاً، أرسل لي رقم حساب بريدي لأحد رجال أشرف أنا أحتاجه.. أقفلت الخط وانتظرت قليلا حتى وصلتني رسالة من آسر فيها الرقم الذي طلبته فدونته على ورقة وكتبت أسفلها "عليك أن ترسل لي عشرة مليون دينار إلى هذا الحساب وإلا أخبرت الرئيس أنني وجدتك نائما أثناء فترة حراستك"

نعم لقد وضعت هذه الورقة في يد الحارس الذي ضللته قبل دخولي إلى المستودع، والذي أفقدته الوعي بضربة بمرفقي على مؤخرة رأسه قبل أن يراني لحظة خروجي من نفس الباب، الرسالة كانت فقط لكي لا يعلن حالة الطوارئ بعد استيقاظه وعلمه بأنه تم تجاوزه، بل سيعتقد أن أحد زملائه الجشعين هو من فعل، ويقوم باستفزازه من أجل المال، لذا سيقوم بإرسال المال ويكتم الأمر.

عدت بعدها إلى المنزل وكل تفكيري في كيفية إخراج هذا العدد الكبير من البشر، ومن دون أن يُكشف أمري، هناك عدد كبير من الحُراس ويستحيل أن أحدد الحارس الذي يملك مفاتيح الزنازين، لذا أول شيء يجب علي إيجاده هو طريقة أخرى لفتح تلك الزنازين الفولاذية اللعينة، وبالفعل وجدت الطريقة المثالية إنه مسدس اللحام، يعمل بغاز الأكسجين والإستلين، وإذا ما أردت قطع الفولاذ بدل لحامه، فما عليك سوى ضبط كمية الإسلتين والأكسجين الخارجة من المسدس بمقدار معين حتى تحصل على لون لهب أزرق يميل إلى البياض، وهذا الأخير قادر على إذابة أي شيء وفي وقت وجيز.

اقتنيت ما أحتاج من معدات، وبعد حلول الظلام اتصلت بآسر وأطلعته على خطتي، وأقنعته بها رغم أنه لم يبد راضياً تماماً، كما طلب مني القيام ببعض الأمور تحسباً لأي طارئ، إنه حذر جداً ولا يترك أي مجال للخطأ.

أخذت ما أحتاج من معدات وجلست في مكان أراقب المدخل من بعيد، نعم إنه نفس المدخل الذي دخلت منه ليلة البارحة، انتظرت استبدال الحراسة لأحصل على أطول وقت ممكن في الداخل، وبالفعل بعد استبدال الحارس ببضع دقائق التففت خلف الحارس وفي حركة سريعة انقضضت عليه وغرزت خنجراً في حنجرته، سحبت جثته إلى الداخل ثم عدت، جلبت معداتي ودخلت بهدوء وقبل وصولي ببضع خطوات، تركت ما أحمل وسحبت المسدس الذي أخذته من الحارس وتقدمت بحذر...

ألقيت نظرة حول المكان وأبصرت حارسين في الداخل جالسين بإهمال يتبادلان أطراف الحديث، كانا بعيدين نسبياً ولدي مسدس بلا كاتم صوت وسأكون في ورطة إذا خرجت رصاصة منه وسمعها الحراس في الخارج، لذا كان علي المخاطرة، إنها حركة رمي الخنجر، لطالما تدربنا عليها في صفوف القوات الخاصة ولكن لم أتوقع يوماً أنني سأحتاج إليها هكذا، وفي حركة مفاجأة انطلقت صوبهما بسرعة ورميت خنجري على أحدهما فانغرز في مؤخرة رأسه ليخرج من فمه، مما أثار رعب زميله الذي لم يدرك عقله ما يحدث حتى وجدني أشهر مسدسي في وجهه، فتسمر في مكانه، اقتربت منه بهدوء وفي حركة سريعة ضربت رأسه بقبضة المسدس فخرّ على الأرض مغشياً عليه، تحققت من المحيط وتأكدت من إغلاق المدخلين الآخرين وكبلت الحارس تحسباً، ثم عدت وجلبت معدات اللحام، تحدثت مع المحتجزين وعينت على رأس كل زنزانة قائدا ليقودهم إلى الخارج وإلى مكان حددته فور فتح زنازينهم، وشرعت في عملية إذابة الأقفال وقد كان الأمر أسهل حتى من ما توقعت فقد احتجت إلى حوالي خمسة دقائق فقط لفتح كل قفل، وقد كانت ثلاثة عشر قفلا لثلاثة عشر زنزانة، مضت حوالي ساعة وكان كل شيء بخير وتبقى فقط آخر زنزانتين حتى.. .

أنا حللت كل شيء، أنا أعرف كل شيء، لقد اقتربت من تسليم السفاح، نعم أنا أعرف الآن من هو، كان كل شيء أمامي ولكن لم أنتبه، لكي أصل إلى السفاح يجب أن أصل إلى الشخص الذي أخبره بأنني أتتبعه وأحقق في أمره، لم يكن ذلك صعبا فأنا لا أرتكب الأخطاء إلا نادراً، وكل ما كان علي فعله هو العودة بالذاكرة ومحاولة تذكر كل خطواتي السابقة، فوجدت الخلل، نعم إنه ذلك اليوم وتلك الليلة عندما خرجت مع شيماء، ليلة الحفلة، أنا متأكد أنني قمت بكل شيء وقتها من زرع أدوات التجسس والتعقب بعيداً عن أنظار الحراس والكاميرات، ولست أنا من يترك دليلا خلفه، فكيف إذن؟ نعم إنها هي، آخر مخلوق قد أتوقعها منه، "إنها شيماء"، في تلك اللحظة التي عانقتني فيها وضعت يدها على خصري حيث كنت أعلق مفاتيح سيارتي على حزام بنطالي، وهي كانت قد رأتني عندما أعطيت مفتاح السيارة الأخرى لعامل موقف السيارات ليركنها، هذا ما جعلها ترتاب في أمري وتراقبني ومتأكد أنها اكتشفت أمر المتعقب الذي زرعته في سيارة أخيها، إذن هي من بلّغ السفاح عني أو أشرف على الأقل، وما كانت لتفعل لو لم تكن لها علاقة مع أعمال السفاح! حسناً لا يمكن أن أجزم بأنها متورطة إذا لم أحصل على دليل وأتأكد بنفسي، وهذا ليس أمرا صعبا فهي تعيش الآن في منزلي وتعمل في شركتي، قبل هذا يجب أن أتحقق من أمر آخر لكن لضيق الوقت يجب أن أستعين بأحدهم، شخص لا أريده أن يتدخل في عملي الآن ولكن لابأس بهذا فهو سيختصر لي الوقت والجهد، أخرجت هاتفي واتصلت برقمه الذي كنت قد سجلته في لقائي به:

- ألو، مرحبا لطفي، أحتاج معلومات عن أحدهم.

- نعم أكيد أي شيء قد يساعدك فهو يساعدنا.

- جبران آل مختار، أريدك أن تعرف لي كل ما يتعلق به ليست المعلومات التي يعرفها الجميع وإنما معلومات تعرفها فقط المخابرات.

- حسناً، نحن لدينا بالفعل معلومات عن صاحب الاسم يقال عنه أنه يعيش متخفيا هنا وهناك بين بعض الدول المجاورة، لكن الحقيقة إنه متوفي منذ أربعة سنوات، ربما كان السفاح فيما مضى ولكن الآن هناك غيره، السفاح ليس شخصا محددا وإنما لقبا يتوارثه من يصلون إلى القمة.

- حسنا هذا ما أردت التأكد منه، شكراً لك.

لقد راقبت شيماء ليل نهار منتظراً أي اتصال لها مع السفاح، ولكن بلا جدوى فكل اتصالاتها كانت عادية جداً فقط السخافات مع صديقاتها التافهات، يوم الخميس عدت كالعادة إلى المنزل ولم أجد شيماء في باحة المنزل تنتظرني كالعادة مع ندى، و إنما وجدت ندى فقط فسألتها عن شيماء فردت بحنق :

- حبيبتك تتجهز، يبدوا أننا سنرتاح منها لبضعة أيام..

- حقاً! توجهت إلى غرفتها واستأذنت للدخول، فأذنت لي، وجدتها قد استعدت بالفعل للخروج.

- إلى أين؟

- إلى المنزل، لا تقلق لن أغيب عنك طويلا فقط يومين أو ثلاثة ثم أعود إلى إزعاجك.

- همم لقد تأخر الوقت لن تذهبي الآن.

- لا، أنا يجب أن أذهب لقد اتصل أشرف وقال أن الأمر مستعجل.

- إذا كان أشرف من يطلبها بشكل مستعجل فأعتقد أن هناك أمر مريبا، فقلت لها:

-لابأس انتظري حتى الغد وسأوصلك أنا، فلن أتركك تذهبين وحدك.

- حقا، أتخاف علي لهذه الدرجة؟ لا أصدق الدب حقاً يهتم بي؟

-لا تبالغي كثيراً فقط أنا كنت سأذهب إلى عنابة لذا انتظريني لآخذك معي.

-حسناً فليذهب الأمر الطارئ إلى الجحيم، سوف أنتظرك.

خرجت من عندها وذهبت إلى غرفتي المجاورة، فتحت خزانة ملابسي لأختار شيئا ألبسه فوجدت رسالة بين الرفوف، نعم إنها رسالة بختم السفاح : (ستجتمع الطاولة بولاية البليدة غداً الساعة الحادية عشر صباحاً)، حسناً هذا ما توقعته .

يجب أن أبدأ في التصرف.

أولاً لم يتصل عبدو لحد الآن وأنا متأكد أن مكروها ما قد أصابه، أو على الأغلب قد أمسكوا به، وهو سبب الاجتماع الطارئ هذه المرة، تباً لقد حدث الأسوء حقاً، لكن قبل أن أبدأ في النحيب يجب أن أجد طريقة لتخليصه قبل أن تزهق روحه، كيف؟ أنا كانت لي خطتي بالفعل في حال إمساكه، فأنا كنت قد طلبت من عبدو أن يؤجل العملية 24 ساعة فقط من أجل تجهيز خطة الطوارئ.

ناديت على العم صفوان وهو رجل كهل موثوق يعمل كرئيس الخدم عندي وهو يعمل لصالح المخابرات متخفياً لقد كنت قد طلبت منه أن يختار واحداً من الحراس المتواجدين في المستودع، وذلك بعد أن أريته الصور التي أرسلها عبدو لأغلب المتواجدين هناك، نظر العم صفوان في الصور وقال أنه يعرف أحدهم ويعرف كل تفاصيله، فباشرنا في الخطة، أعترف أنها قذرة ولكن كان يجب أن أسبح مع التيار، لقد أرسلت العم صفوان إلى منزل ذلك الحارس على أنه عامل توصيل البيتزا فأخذ صورا لزوجته وأبنائه ثم انسحب، قمنا بعدها بإرسال الصور إلى الحارس ومعها رسالة مضمونها: "لديكم رجل يخصنا، إذا أردت أن تجد عائلتك مازالت تتنفس عند عودتك إليها ففك وثاقه وساعده على الهروب"، كرهت هذه الخطة ولكن كانت سبيلي الوحيد لإنقاذ صديقي، بعدما قمت بالتدابير اللازمة من أجل صديقي عدت للتركيز مع شيماء واجتماع الغد، شغلت جهاز التشويش على الاتصالات اللاسلكية في البيت حتى لا يضغط أشرف على شيماء أكثر، ويقنعها بالمغادرة اليوم، وعلى مائدة العشاء أخبرت شيماء بأننا سنغادر على الساعة السادسة صباحا.. وعلى ذات الساعة انطلقنا صباحاً، لنصل إلى العاصمة على الساعة التاسعة والنصف، أخذتها إلى أحد الفنادق استأجرت لها غرفة وطلبت منها أن تستريح وتنتظر عودتي لنكمل طريقنا، تذمرت قليلاً ولكنها وافقت على كل حال، وبعدها توجهت إلى مدينة البليدة من أجل اجتماع الطاولة، كنت قد أخذت هاتف شيماء منها تفادياً لأي اتصال بينها وبين أشرف الذي ظل يتصل طول الوقت، وصلت إلى الموقع في الوقت

المحدد واجتمع الثمانية كلهم، ثم بدأ أشرف في الكلام:
حسناً يا سادة لقد اجتمعنا اليوم كعادتنا للتكفل بالأعمال المهمة، لن يشاركنا اليوم السفاح فهو لديه أشغال مع شركائنا في الطرف الآخر من البحر، أما الآن فسندخل إلى صلب الموضوع، تم استدعاؤكم اليوم لقضيتين مستعجلتين، الأولى هناك طلب كبير على الأسلحة هذه الأيام من جارتنا ليبيا وقد حصلنا على عروض جيدة، المصدر سيكون مافيا إيطاليا ونحن سنكون الوسيط، لنقوم بتسليم السلع إلى الجيران، ستكون عملية كبيرة بل الأكبر على الإطلاق لذا سيشترك فيها أربعة منكم.

نظر الجميع إلى بعضهم البعض وكأنه لا يوجد من يريد إقحام نفسه في هذه العملية وأنا أيضاً لم أكن أريد ذلك.

تنحنح أشرف قاطعاً حالة الفوضى في المكان وأضاف:

- لقد حدد السفاح الأربعة المعنيين بالعملية بالفعل وهم (عاصم قرني، فتحي شواظ، علي زوكل وغاني أبوشيبة) لقد بدا عدم الرضى على وجوه الأربعة الذين تم اختيارهم فالعملية كبيرة جداً، كما أنهم معتادين على العمل أفرادا والاشتراك في عمل جماعي يزعجهم ويهددهم، ثم أضاف أشرف:

- أما الآن فلدينا قضية معقدة، وستعقد الأمور هنا.

نظر الجميع إلى بعضهم البعض في استغراب ففعلت مثلهم رغم أن قلبي قد وخزني، فأنا أعلم جيداً ما الذي يقصده أشرف، قطع هذا الأخير موجة التساؤلات بكلمات أخرصت الجميع:

- لقد فقدنا المادة (x)، لكننا أمسكنا بالفاعل وهو بالتأكيد أحد رجالكم، فلا يمكن أن يفعل هذا إلا شخص يملك معلومات من الداخل.

بدأ الجميع يتفرسون بعضهم البعض بنظرات شك وحقد وبالطبع أنا حظيت بالكثير منها، فقررت أن أتصرف بسرعة لأبعد عني الشكوك، فقلت لأشرف:

- جيد أنكم أمسكتم الفاعل فهو سيقودنا إلى الخائن أليس كذلك؟

-لا لن يحدث هذا فقد قضينا الليل في تعذيبه ولكن لم نحصل منه على أي شيء.

- وما العمل إذن؟

نظر إلي نظرة فارغة ثم نادى على الحارس وقال أدخلوه ، فأتو به ، نعم إنه عبدو على كرسي متحرك لا يلبس إلا سروالا قصيرا ممزقا، ويبدو أنه قد قضى أسوء ليلة في حياته، كان وجهه مشوهاً تماماً ومضرّجا بالدماء وكامل جسده عليه حروق بليغة، آه يا عبدو لم أكن أريد أن نصل إلى هذه النقطة، لم أكن مقتنعا بالخطة تماماً ولكنني حقاً أردت إخراجك بأي طريقة.

تمشى أشرف بضع خطوات حتى استوى خلف عبدو وهو ينظر إلينا وقال:

- في الواقع قضينا الليل في تعذيب اثنين وليس واحد فقط، فلقد أمسكنا أحد الحراس وهو يحاول تهريب هذا السافل، وهذا ما أكد لنا تورط أحدكم، فالحارس تم الضغط عليه عن طريق تهديده بقتل عائلته، وهذا يؤكد أن الفاعل هو واحد منا ويعرفنا جيداً، ثم نظر إلى عبدو وقال: أنت

تعمل لصالح أحدهم أليس كذلك؟ لذا اختر الآن، حياتك أم حياته، أشّر عليه فقط وليمت هو ولتعش أنت.

كان الجميع ينظر إلى عبدو تارة وإلي تارة أخرى، فأنا المتهم رقم واحد هنا بصفتي أحدث عضو في المجموعة كانت نظرات عبدو ساخرة واتضح منها أنه لن يقول شيئا مهما فعلو به، ولكنه قال كلاماً آخر غير متوقع، كلاما وتر الأوضاع حقا بين أعضاء الطاولة، نعم لقد قال كلاماً جريئا قطع به آخر خيوط الثقة بين الحاضرين:

- نعم أنا أعمل لصالح أحد الثمانية المتواجدين هنا ولكن لن أخبركم من هو مهما فعلتم بي،) ثار أشرف وثار الجميع وبدأت الفوضى تعم المكان، ومن بين الجميع أخرجت مسدسي وتوجهت ناحية أشرف، وضعت المسدس في يده وصرخت في وجهه: " أنهي هذه المهزلة يا أشرف، أنهها قبل أن ينتهي كل شيء" فأخذ مني المسدس ووجهه نحو المكبل عاجزا أمامه، وضغط على الزناد، فخرجت رصاصة انغرزت في صدره فأوقفت نبض قلبه وخرّ صريعاً...

كان هذا هو السبيل الوحيد لخروجي من قفص الاتهام ونجاتي من المشنقة، نظرت إلى الحارسين الذين أدخلوه قبل قليل وأشّرت أن يخرجوا الجثة، ثم استدرت إلى الحضور وقلت:

- لن يأتي أي حثالة من الخارج ليفسد عملنا ويشتت ثقتنا، واضح جداً أنه من طرف آخر ويريد زعزعة الثقة بيننا لإسقاطنا، لذا سنزيد من حذرنا، ونهتم لما ينتظرنا من أعمال، لقد فقدنا المادة (x)؟ حسناً هذه ليست المرة

الأولى التي نخسر فيها شحنة، وبالطبع سنستمر ونعوض ما خسرنا كما نفعل دائماً.

عم السكوت في المكان وبدا أن كلامي قد نجح في تهدئة الجميع وعادوا كلهم إلى مقاعدهم، فأعلن أشرف نهاية الاجتماع وغادر الجميع، وبقيت أنا وأشرف.

لن أخفي عنكم أن قلبي كاد يتوقف، اقترب مني ببطء وبسط إلي ذراعيه وعانقني، وقال:

- آه أيها الدب لا أعرف كيف أشكرك، لقد اعتقدت لوهلة أن الطاولة ستتشتت وتتفرق وينتهي كل شيء لقد كنت غاضبا ولم أعرف كيف أتصرف وكل هذا بسبب التوتر الذي أحدثه ذلك المعتوه، ولكنك تدخلت في الوقت المناسب وأنهيت التوتر الحاصل، لا أعلم ماذا كنت لأفعل من دونك.

- ولو يا أشرف إنه واجبنا جميعا للحفاظ على هذه الإمبراطورية، ربما في لحظة غضب منك فقدت تركيزك، لذا قررت التدخل والتصرف بدلا منك.

-أنت فعلت الصواب ولا أعرف كيف أرد لك هذا الجميل.

- همم حسناً ما رأيك بحفل شواء غداً وسنقوم بالشواء من دون الاعتماد على الطباخين أراهن أن هذا سيكون رائعاً، وبهذا سترد الجميل.

- حقاً هل ستأتي لزيارتنا؟

-نعم أنا بالفعل ذاهب إلى منزلكم اليوم رفقة شيماء وقد تركتها تنتظرني في أحد الفنادق، لذا اتركني أعود إليها بسرعة لكي لا تقضي علي.

-آه إنها معك إذن حسناً اذهب وسنلتقي في المنزل.

ودعته ورجعت مسرعاً إلى العاصمة من أجل شيماء ولكن قلبي بقي معلقاً مع صديقي وكل ما حدث له بسببي.

عدت إلى شيماء وقد تيقنت من أمر مهم، ألا وهو أنها بريئة من أعمال السفاح وهي مجرد بيدق يتم استغلاله، فحجة غياب السفاح عن الاجتماع تؤكد هذا، وصلت إليها وقد وجدت الشرر يتطاير من عينيها فقد كنت قد طلبت من عامل الفندق أن لا يسمح لها بالخروج أبداً، لذا تلقيت وابلاً من التوبيخ كما هو متوقع، واضطررت لسماع الصراخ والبكاء والنحيب، ولكني أنهيته بعدما قلت لها بأننا سنذهب في جولة سياحية حول العاصمة قبل أن نعود إلى عنابة، قفزت من السرير الذي أغرقته في الدموع وتوجهت إلى المرآة لتعدل مكياجها وتستعد للجولة من دون تضييع أي وقت !

معشر الإناث سهل جداً إرضاؤهن، وأنا أكثر من يجيد ذلك، وبعد لحظات أعلنت استعدادها فحملت حقائبها وتوجهنا إلى السيارة.

بعدما ركبنا السيارة، أخرجت هاتفها من درج السيارة وأرجعته إليها وأخبرتها بأنني وجدته في السيارة، ثم انطلقنا في رحلتنا، تجولنا هنا وهناك في بعض الأماكن الجميلة وقد بدت مستمتعة جداً، وغير مبالية بأي شيء آخر غير وجودها بجانبي، دخلنا إلى أحد المطاعم الفاخرة استقبلنا أحد العاملين فيه فطلبت منه أن يقودنا إلى طاولة ذات إطلالة جميلة وضوء خافت، فطلب منا أن نتبعه، وصلنا إلى الطاولة فسحبت لها الكرسي لتجلس على طريقة النبلاء كما يليق بها، ثم جلست أنا مقابلا لها أتأمل جمالها

وابتسامتها المرحة، وهي تقول واو أيها الدب لقد أدهشتني بلطفك اليوم، قد أطالبك باحتجازي من وقت لآخر لكي تكون لطيفا معي هكذا، ضحكنا معاً ثم طلبنا الطعام ودردشنا قليلا، وبعدها استغللت الفرصة وطلبت منها حاسوبها المحمول بحجة أني أحتاج البحث عن شيء ما على الإنترنت، فقالت أنه في حقيبتها وقد تركتها في السيارة، اعتذرت منها وأخبرتها بأنني سأتفقده بسرعة ثم أعود، ذهبت إلى السيارة وفتحت الحاسوب وذهبت مباشرة إلى قائمة البرامج فوجدت ما أحتاج، برنامج التعديل على الصوت أثناء الاتصال وبرنامج للاتصال مرفق معه، نعم هذا ما توقعته، وقد تأكدت الآن، أرجعت الحاسوب بعد أن دخلت في بعض المواقع لكي لا أترك مجال للريبة ثم عدت إليها بسرعة، أكملنا بقية اليوم في التجوال وقد استمتعت كثيراً، وفي المساء انطلقنا في اتجاه عنابة لنصل ليلاً.

دخلت أنا وشيماء إلى المنزل، لم يكن أشرف في البيت، وجدنا السيدة خديجة وحدها والتي كانت تبدو قلقة على ابنتها، رحبت بنا وقد بدا عليها الاستغراب من رؤيتي، وكأنها تقول لماأنت هنا؟ فأجبتها قبل أن تسأل :

- لقد كانت شيماء مريضة قليلا البارحة لذا حرصت أن ننتظر حتى تتحسن قليلاً، ثم أوصلها بنفسي تحسباً، وطبعاً سأعيدها معي عندما ينتهي الأمر المستعجل الذي استدعيتموها من أجله.

شكرتني ثم طلبت مني أن أرتاح في الغرفة التي نزلت فيها آخر مرة فهي لازالت كما هي، فأخبرتها بأني سأخرج لأتمشى قليلا ثم أعود.

خرجت أتمشى إلى مكان محدد، وفي الطريق اكتشفت بأني مراقب وهناك من يتتبعني وهذا لا يمكن أن ينطلي علي أبداً، فقمت بتضليله وتملصت منه ثم توجهت إلى المكان المحدد حيث كان ينزل عبدو، وهناك ترك لي كل المعلومات والأدلة والصور التي جمعها.

وبتجميع كل ما أملك من معطيات وأدلة وجدت أنه قد حان الوقت للبدء في إسقاط كل أعضاء الطاولة وعلى رأسهم السفاح دفعة واحدة، لقد جمع عبدو أدلة كافية لإغراق الجنرال وأشرف، أما فضيل درنجي بارون الحدود المغربية فهو الأسهل، لأني أعرف كل الأماكن التي يخبئ فيها سلعه، أما بقية الأربعة فسننهيهم في العملية التي سيقومون بها مشتركين، لإسقاط الأربعة كان علي الوصول إلى اللائحة التي بحوزة أشرف والتي فيها تواريخ الشُحنات وأرقام الشاحنات وأي طريق سيسلكون وحتى أسماء السائقين، وقد علم عبدو عن اللائحة من خلال تجسسه عليه أثناء مكالماته.

حسناً الشحنة بعد يومين لكن أي وقت وأي طريق وأي وسائل؟ كل هذه المعلومات هي في خزنة أشرف الموجودة في مكتب شركته، إذن لدي مهمتين قبل الموعد وهما اختراق خزنة الشركة وسرقة الحاسوب الخاص بأشرف، فهو يحتوي على كل شيء.

الحصول على الحاسوب كان سهلا جدا، فبعد عودتي تأكدت من نوم الجميع ثم تسللت إلى غرفة أشرف، وجدته نائما بعمق وبجانبه حاسوبه، فأخذته بهدوء ثم فتشت عن المفاتيح فوجدتها في بدلته وهي مفاتيح المكتب والخزنة والبيت وكل شيء آخر فهو يضعها كلها مع بعض، أنا لا

أفقه شيئا في اختراق الحواسيب لذا كان علي أن أستعين بمختص في المجال، لذا طلبت من لطفي إرسال عميل مختص ينتظرني في مكان قريب، وبعد حوالي ساعتين وقد كانت الثالثة فجرا وصل العميل حيث طلبت، فسلمته الحاسوب ليعمل عليه ثم انطلقت إلى الشركة، وعند وصولي غصت تحت الأرض مباشرة عبر المجاري ومنها وصلت إلى داخل الشركة، من دون المخاطرة، لم يكن التوغل داخلها والوصول إلى مكتب أشرف أمراً صعباً، فأنا أعرف كل تفاصيل الشركة، المهم دخلت إلى المكتب وأخذت نسخة للوثائق وأعدت كل شيء إلى مكانه ثم عدت إلى موظف المخابرات وقد وجدته يقوم باللمسات الأخيرة قبل أن يعيد إلي الحاسوب، فطلبت منه التحقق من بعض الأمور الإضافية، وبعدما انتهينا أخذت الحاسوب وعدت إلى المنزل في حدود الخامسة صباحا، وكان الجميع نيام، أعدت الحاسوب إلى مكانه، ثم جلت حول المنزل، قمت ببعض اللمسات الأخيرة، ثم استلقيت في السرير أنتظر استيقاظ الجميع.

في صباح اليوم التالي استيقظت مع الجميع وكأنه لم يحدث شيء، وتناولت الفطور مع أشرف وشيماء والسيدة خديجة ثم افترقنا، أوصلت شيماء عند صديقاتها، ثم ذهبت إلى تلك الحديقة الصغيرة حيث التقيت مع لطفي أول مرة وعقدت معه صفقة حياتي وها أنا ذا سألتقيه بعد عام فقط وكل شيء بين يدي لأسلمه أعضاء الطاولة والسفاح معهم، تبادلنا المعلومات وقدمت له كل الأدلة التي جمعتها أنا وعبدو والتي تدينهم جميعا.

سيتم إلقاء القبض عليهم كلهم متلبسين في وقت واحد من دون أي تعطيل ولا تأخير وسيكون ذلك عند بدأ عملية شحن الأسلحة غداً، أخبرته بأن يبقى هو هنا أثناء العملية من أجل إلقاء القبض على رأس الأفعى الذي سأسلمه لهم في نفس الوقت.

لم يستطع إخفاء سعادته وإعجابه فاقترب مني وعانقني وقال :

- أنا أتتبع السفاح منذ سنوات ولم أستطع الوصول إليه لكنك أنت فعلت في ظرف وجيز، آه يا آسر لن ننسى ما فعلته أبداً أنت خدمت بلدك وأهلك وكل الناس هنا، ونحن سنكافئك على ما فعلت، فغداً سيتم تقديم أدلة براءتك ويعاد فتح قضيتك وتسترجع حياتك وهويتك.

التاسع من شهر أوت ألفين وثلاثة عشر أتى الموعد المحدد ووقت الشحنة التي كانت ستصل إلى الحدود الليبية على الساعة العاشرة صباحاً كما خططوا لها..

في الصباح استيقظ الجميع كالعادة وتناولنا الفطور معاً ثم اعتذر أشرف وغادر إلى شركته، ثم طلبت من شيماء أن تذهب لتتجهز من أجل المغادرة وتتركني لأتحدث مع السيدة خديجة على انفراد، ففعلت وتركتنا وحدنا.

فبادرت السيدة خديجة في الحديث:

- هل هناك ما تريد التحدث عنه أيها الدب؟

-نعم هناك الكثير سأتحدث عنه ولن يعجبك أبداً.

- خيرا إن شاء الله أفزعتني؟

- أحقاً لك قلب يفزع؟

- ما الذي تقصده، أنا لا أفهمك.

- حسناً الحقيقة أنت ذكية جداً، وأهنئك على هذا، أنت إنسانة حذرة جداً وتتصرفين برزانة أيضا، ولا مجال للخطأ عندك، حتى أنك تضعين خطة (ب) أيضا في كل تحركاتك، واو أليس هذا مثيرا للإعجاب؟ لكنك هذه المرة التقيت مع شخص يتعامل أيضاً بالخطة (ب)وقد كشفك من خلالها، أحقاً كنت ستضحين بابنتك في حال كشف الأمر !

أنت لا تقومين بأي معاملة مباشرة مع أي طرف مهما كان، وتتركين المعاملات القذرة لأشرف دائماً، وهو الوحيد الذي يعرف ماهيتك، أعجبت حقاً بطريقة إدارتك للأعمال هنا، فأنت تفعلين كل هذا بطريقة متقنة ومن دون تلطيخ يدك، ولكن مهلاً أنت مضطرة للتحدث إلى أعضاء الطاولة أثناء اجتماعاتهم بصفتك رئيستهم أليس كذلك؟ همم ولقد وجدت طريقة آمنة أيضا، كان ضمن حساباتك أنه قد يمكن الوصول إليك عن طريق برنامج الاتصال الذي تستخدمينه، لذا أنت استخدمت حاسوب وبيانات واسم ابنتك حتى لا يكون أي خيط يقود إليك، لكن لم يطرأ على بالك أن ابنتك

ستبتعد عن جانبك ولن تكون هنا وقت الاجتماع، لم تتوقعي أنه سيعرقل أحدهم مجيئها إليك في الوقت المناسب، لقد كانت ثغرة صغيرة استغلها الدب ليتأكد من خلالها أن شيماء خارج قفص الاتهام.

وسأقول لك لما وضعت شيماء في قفص الاتهام أصلا، حسناً لقد علمت أنها هي من أخبرتك أنني استخدمت سيارة أشرف لهدف ما، رغم امتلاكي لمفتاح سيارتي يوم الحفلة، جعلني ذلك أشك كثيراً في أمرها ولكن اتضح أنه فقط الأم تجيد استغلال ابنتها، فأنت كنت تسألينها عن كل تصرفاتي وكل تحركاتي بما أنك كنت غير مرتاحة من جهتي.

أعتقد أن ما قلت غير كاف؟ لابأس ليس هذا كل شيء فلقد تمكن صديقي الذي ألقيتم القبض عليه وعذبتموه من سماع حديث مهم بين أشرف والجنرال وقت تفريغ المادة (x)، لا داعي لإخبارك بكل ما قالاه فكل شيء مسجل في فيديو، ولكن لقد قالا أشياء مهمة جداً ستجعلهما يغرقان أكثر، كما قال الجنرال لأشرف أمراً إضافيا يكشف عن من هو السفاح بشكل أوضح، قال أنه يجب الحصول على ترخيص من السفاح للقيام بالتسويق عبر الدارك ويب (الإنترنت المظلم) من حساب أشرف الخاص من دون الحاجة إلى حساب السفاح، وذلك تحسباً لأي طارئ، حتى لا يحدث أي تأخير في التسويق مثلما حدث في آخر مرة، بحيث تأخرت العمليات تسعة أيام كاملة بسبب مرض السفاح، وتخيلي ماذا وجدت عندما زرت حسابكم على الدارك ويب ورأيت تاريخ آخر عملية قمتم بها، كانت الثامن عشر من شهر جوان وصدقي أنه نفس تاريخ خروجك من المستشفى آنذاك بعدما قضيت فيه

حوالي أسبوعين، من أين أعرف كل هذا؟ نعم نحن اخترقنا حاسوب أشرف ودخلنا عبره إلى حسابكم في الدارك ويب وعرفنا كل شيء عن الصفقات التي تعقدونها هناك، لذا لقد كشف أمرك أيها السفاح.

لقد تفاجأت وذهلت بعد سماعها لما قلت لكنها فجأت تحولت ملامحها من مذهولة إلى ملامح شخص واثق وقالت:

- واو لقد أدهشتني فعلاُ أيها الدب، لطالما أدهشتني ولازلت تدهشني، أنا حقا أعجبت بك من أول ما سمعت عنك فأردت ضمك إلى صفي بأي وسيلة...

لقد ضممتك حقاً واتفقنا على خمسة سنوات عمل، وهي السنوات التي سأبقى فيها بهذا اللقب حتى يرثه شخص آخر، أنا استفدت منك أكثر من ما توقعت، فقد ازدهرت أعمالنا في الغرب بفضل ذكائك وتسييرك غير الطبيعي لشركاتك وتضاعفت الأرباح وارتفعت أسهمنا، ولكن مؤخراً اكتشفت أنك تتتبعني وتريد الوصول إلى السفاح بأي طريقة، لم أفهم تصرفك هذا فأنت لا ينقصك شيء بالفعل وحصلت على كل شيء معنا، فما الذي تريده مني؟

لم أرغب آنذاك في تصفيتك وطمعت في استغلالك أكثر، ولكني شعرت بعدم الراحة منك، فقمت بإرسال رسالة تحذير عن طريق اعتراض شاحناتك ذلك اليوم، ولكنك لم تتوقف وبقيت تتعقبني، فما هدفك؟

- فلنقل أنا دائماً أصل حيث أريد، أردت أن أعرف من هو السفاح وعرفت.

- لكنك أفسدت كل شيء بوصولك إلي، فلا يمكن أن أدع شخصا يعرف حقيقتي على قيد الحياة.

- للأسف تأخر الوقت على قتلي إنها التاسعة بالفعل وحالياً يتم إلقاء القبض على أشرف والجنرال وبقية أعضاء الطاولة، فهناك أدلة كافية ضدهم لجرهم إلى حيث ينتمون، وكل من تبقى الآن هو أنت، لدي تسجيلات لصوتك أثناء تحدثك معنا في اجتماعات الطاولة عبر حاسوب أشرف، وإذا ما قارنا ذلك الصوت مع صوتك عبر البرنامج الموجود في حاسوب شيماء فنحن سنجد تطابقاً تاماً بين الموجات الصوتية، كما أنني أردت أن أسمعك تعترفين بلسانك بأنك السفاح وقد فعلت، لقد تم نقل كل ما قلته عبر تلك الكاميرات هناك في الزاوية والتي تبث إلى عربة المخابرات المركونة بجانب منزلك حالياً وينتظرون إشارة مني ليدخلوا إلى هنا ويغلقوا صفحتك.

اصفرّ وجهها وتسمرت في مكانها وأدركت أنها نهايتها، بقت تنظر إلي نظرة فارغة تعبر عن انكسارها وانهزامها أمام الواقف شامخاً أمامها، فأضفت:

- تشعرين بطعم الخيانة أليس كذلك؟ أنت ترينني الآن مجرد خائن لعين، حسنا لن ألومك، لكن من خانك هو الدب، أما أنا فشخص آخر، شخص لا علاقة له بعالمكم هذا، نعم فأنا آسر، آسر قريشي.

انتهت المهمة، تم القبض على جميع أعضاء الطاولة بعدها جاءني لطفي وأخبرني عن دليل براءتي، إنه التقرير الطبي لحالة موت أمين جابر لقد مات خنقا، وهناك تسجيلات لكاميرات المراقبة لآخر شخص زاره قبل موته، إنه أحد أصدقائه القدامى ويبدو أنه كان له حساب معه فقام بتسويته، لقد جهّز لطفي كل شيء وستكون المرافعة بعد خمسة أيام ومنها أعود إلى حياتي الطبيعية.

أما شيماء فقد انهارت من هول ما حدث ومن اعتقال عائلتها واكتشاف الأعمال الخفية التي كانت تقوم بها، فقمت بإجراء اتصال من أجلها:

"ألو ...عبدو لديك مهمة إضافية"

مهلا! عبدو؟ نعم إنه عبدو بشحمه ولحمه، هل صدقتم حقاً بأنني سأضحي بصديقي بتلك البساطة؟ لا لن يحدث أبداً، لا تستغربوا فأنا طلبت من عبدو آنذاك تأجيل عملية الإنقاذ فقط من أجل أن أضع خطتي الخاصة في حال فشل خطته، وكالعادة أنا جهزت خطتين، فكما تعرفون الدب، إنه لا يتحرك من دون الخطة(ب) وبالطبع قمت بوضع خطة محكمة وأطلعت عبدو عليها قبل أن يشرع في مهمته، كانت المخاطرة كبيرة ولكن كان لابد منها.

طلبت منه عدم المقاومة إذا ما تم حصاره لتجنب قتله، وأما ما يحدث بعد ذلك فأنا سأتولى الأمر، وذلك ما كان بالفعل، فعندما كان يقوم بفتح آخر زنزانتين أتى حُراس التبديل وطرقوا الباب كثيراً حتى ارتابوا فحاصروا المستودع من كل جانب وهو في الداخل، وألقوا القبض عليه متلبساً بعدما كان قد أنقذ أغلب المساجين بالفعل.

تم أخذه إلى الأعلى للاستجواب ولكنه لم يطلعهم على أي شيء بطبيعة الحال، قمنا بالضغط على أحد الحراس لإخراجه ولكن فشلنا، فانتهى به المطاف في قاعة اجتماع أعضاء الطاولة وهناك قمنا بتنفيذ أكبر خدعة على الإطلاق وهي الخطة (ب)، وانطلت على الجميع، إنه محلول(الايسيبوتولول)، يستخدم هذا الدواء على شكل أقراص لعلاج ضغط الدم، فهو يلين العضلات الملساء في الأوعية الدموية ويبطئ نظام القلب، ويخفف من حدة انقباض عضلة القلب، هذا ما تفعله جرعة صغيرة من هذا الدواء، فماذا إن ركزنا جرعة كبيرة منها؟ نعم إنها قد تسبب سكتة قلبية ولكن في أحسن الظروف ستتسبب في تخفيض كبير في انقباض عضلة القلب لدرجة أنه لا يمكنك تحديد إن كان هذا القلب ينبض فعلاً أو لا، وهذا ما حدث، بعد أن أصيب عبدو بالرصاصة التي أعددتها له في حالة الطوارئ وقد كانت مقدمتها زجاجية انكسرت بعد اختراقها الجلد ببضع ملمترات فاختلط المحلول بدمه فتسبب في إخماد حركة قلبه، ليصدق الجميع موته، وبعدما أخرجه الحراس ليتخلصوا من جثته، عاد إلى حالته الطبيعية فتخلص منهم قبل أن يفعلوا وتوجه إلى منطقة آمنة ليتلقى العلاج اللازم لجروحه الناجمة عن التعذيب، وها هو الآن عاد إلي لأكلفه بآخر مهمة وهي الاعتناء بشيماء إلى أجل غير مسمى.

بعدها اتصلت بندى وطلبت منها جمع حقائبها وأن تركب أول قطار في اتجاه مدينة الشلف لألتقيها هناك، وقبل أن أغادر أخبرني لطفي بأن أنتظر اتصالا منه بشأن الشركات وكل الممتلكات المسجلة باسمي على أن يفصل القضاء فيها، ما شأني أنا بها بعد الآن، فقال لا تهتم فقط عد

إلى منزلك الآن عد إلى عائلتك عد إلى حياتك.. بعد ستة ساعات كنت في محطة القطار حيث وجدت ندى.

فقالت بتردد:

- إذن ستعيدني؟

- نعم يا ندى ستعودين إلى حيث تنتمين، انتهى ذلك الكابوس المرعب، انتهى كل شيء، الآن سأعيدك إلى حضن أمك هيا بنا...

أروقة ضيقة مباني قديمة أبواب صدئة، أتذكرين عندما أتيت معك هنا لأول مرة؟ لقد كان يوما رائعا حقاً، أليس كذلك؟

بقيت ندى تنظر يمينا ويسارا وكأنها في عالم آخر ولا تسمع كلامي...

حسناً لقد وصلنا بالفعل، طرقت الباب وبعد لحظات فتحت، إنها الخالة خولة، نظرت إلينا نظرة مبهمة، تأملتنا طويلاً ثم خرّت على الأرض فاقدة للوعي، تباً معشر النساء وكأنهن يملكن زراً يضغطن عليه متى ما أردن ليفقدن الوعي.

بعد لحظات استفاقت لتجد ندى تحتضنها، احتضنتا بعضهما البعض في مشهد جميل يُدمع العين، استدرت وقلت اعتنيا ببعضكما وغادرت غير آبه بندائهما لي وطلبهما البقاء قليلا، لكن لا أريد أن أراه الآن، سيأتي العم حسين بعد قليل وأنا لا أريد أن أكون هنا لمشاهدته ينكسر أمامي، أغلقت الباب خلفي وانطلقت في ذلك الاتجاه، انطلقت إلى الحسينية حيث مسكني، حيث عائلتي التي لم أرها منذ أكثر من عام ونصف، وصلت إلى المنزل كان وقت العصر، أخرجت المفتاح من جيبي، نعم إنه مفتاح منزلي ولقد

حفظته معي طوال هذه المدة فأنا كنت أعلم أني سأعود يوم ما، وضعته في القفل وفتحت.

إذا أتيت إلى منزلنا ستجد خلف الباب الخارجي كراجا وخلفه مباشرة المطبخ، لقد وجدت في الكراج طفلا صغيرا يلعب ببعض الألعاب فوضع ما بيده ووقف، نظر إلي تفحصني بعينيه ثم صاح وهو يجري في اتجاهي "خالي"

لقد تركته و في عمره عام وثمانية أشهر فقط ولكنه يتذكرني، حملته وقبلته وهو ينادي خالي، حتى خرجت كل عائلتي ليبصروني واقفا أمامهم، ولكم أن تتصوروا مشهد عودة الابن الوحيد إلى حضن عائلته بعد كل هذه المدة .

بعد خمسة أيام تمت جلسة المرافعة وحصلت على حريتي، عدت ذلك اليوم مساءً مع عائلتي وقد نال مني التعب وكل ما أردته هو الاستلقاء في فراشي، كنت سأفعل ولكني لمحت شيئا يظهر جزء يسير منه أسفل الوسادة!

بدأت دقات قلبي في التزايد، سحبت الوسادة ببطء وأنا أدعو أن الذي بتحتها ليس ما أتوقعه، ولكن للأسف كان هو، إنها رسالة مختومة، وهذه المرة بختم جديد، ختم لم أره من قبل!

تمت....

ترقبوا الجزء الثاني

شكر خاص

شكرا لك مريم أحمدان.



عبد الرؤوف مزرية

كاتب من الجزائر.

هناك عند طاولة الساقي كان يجلس، لم أنتبه لكنه تكلم تكلم بصوت عرفته حتى ولو بدا أكثر خشونة من السابق: "ضعي ما بيدك واجلسي معي قليلا أيتها الجميلة" نظرت إلى مُحدثي ونظرت إليه كل أعضائي، إنه هو بسُمرته ووسامته، هو بنظرته الجريئة وابتسامته، إنه (آسر). انتابني إحساس غريب، مزيج من الدهشة والسعادة والحب والألم والأمل... عشرات الأحاسيس كلها دفعة واحدة، أردت أن أرتمي في حضنه وأبكي وأشتكي إليه كل ما مررت به وما أمر به، أردت أن ألقي عليه بكل أحزاني، أردت أن أعانقه وأخبره كم هي الدنيا بشعة في غيابه أردت أن أخبره كم اشتقت إليه... لكنه قاطعني بل أيقظني قائلا: ما اسمك أيتها الجميلة؟ تمكنت من ترجمة سؤاله على الفور فأنا لازلت أملك بعض العقل، نعم وكأنه يقول لا أريد أن يكتشف أحد بأنني أعرفك، نظرت إلى عيونه وبدت أنها تخفي الكثير، كانت الكثير من التساؤلات في رأسي لكن واضح أنه ليس هنا للإجابة على أسئلتي، تحرك من كرسيه واستوى واقفاً ثم انحنى ناحيتي وهمس في أذني: - "سأخرجك من هذا العالم".

ISBN : 978-9931-06-045-1





khayaleditions@gmail.com